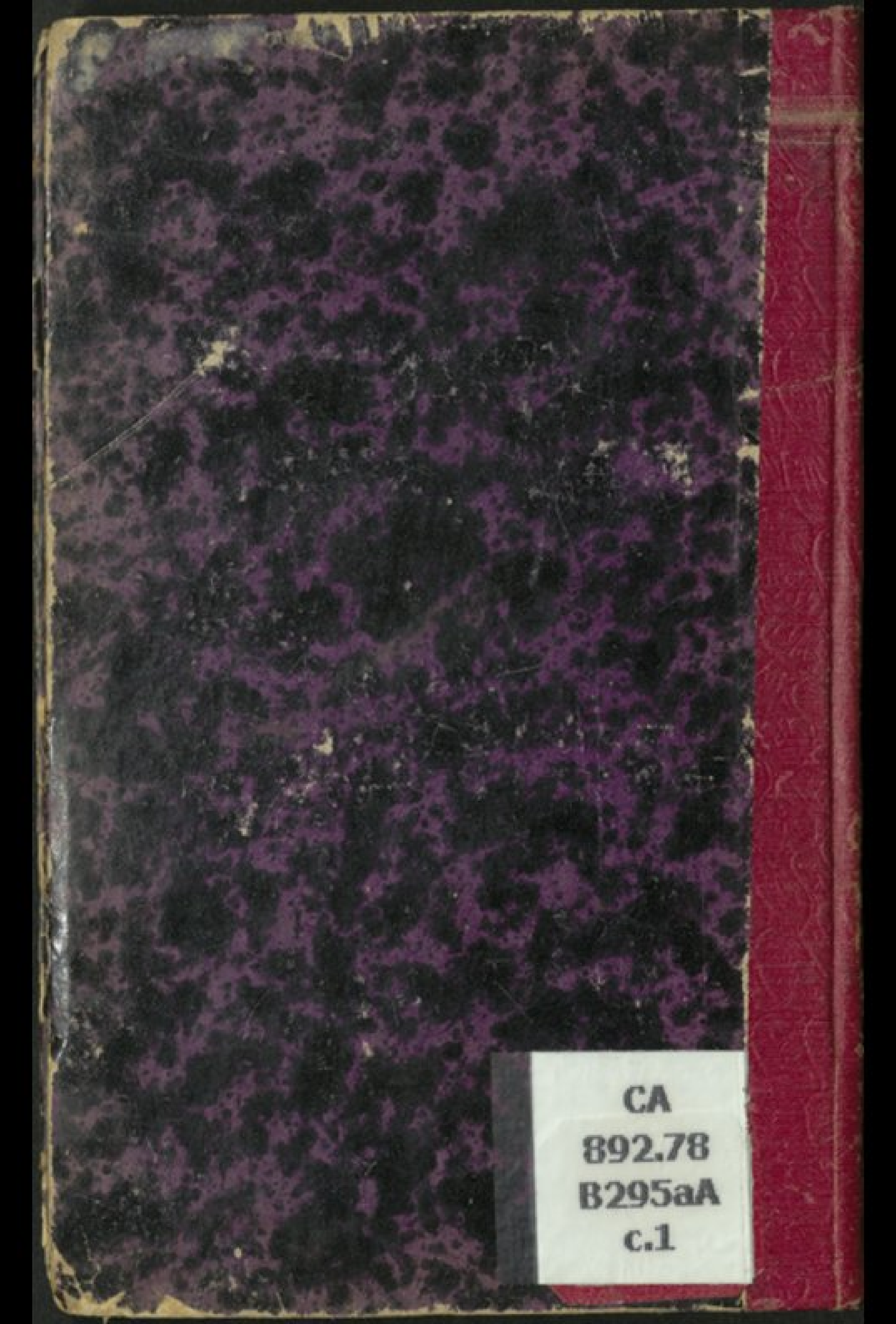


أعطي هذا الكتاب الى ابرهيم عبدالله

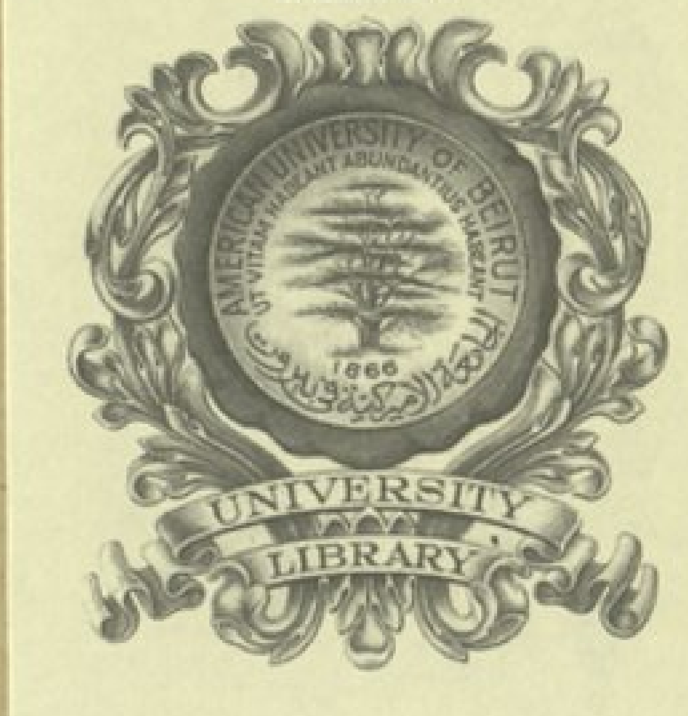
جائزة مداومة الحضور في مدرسة الاحد

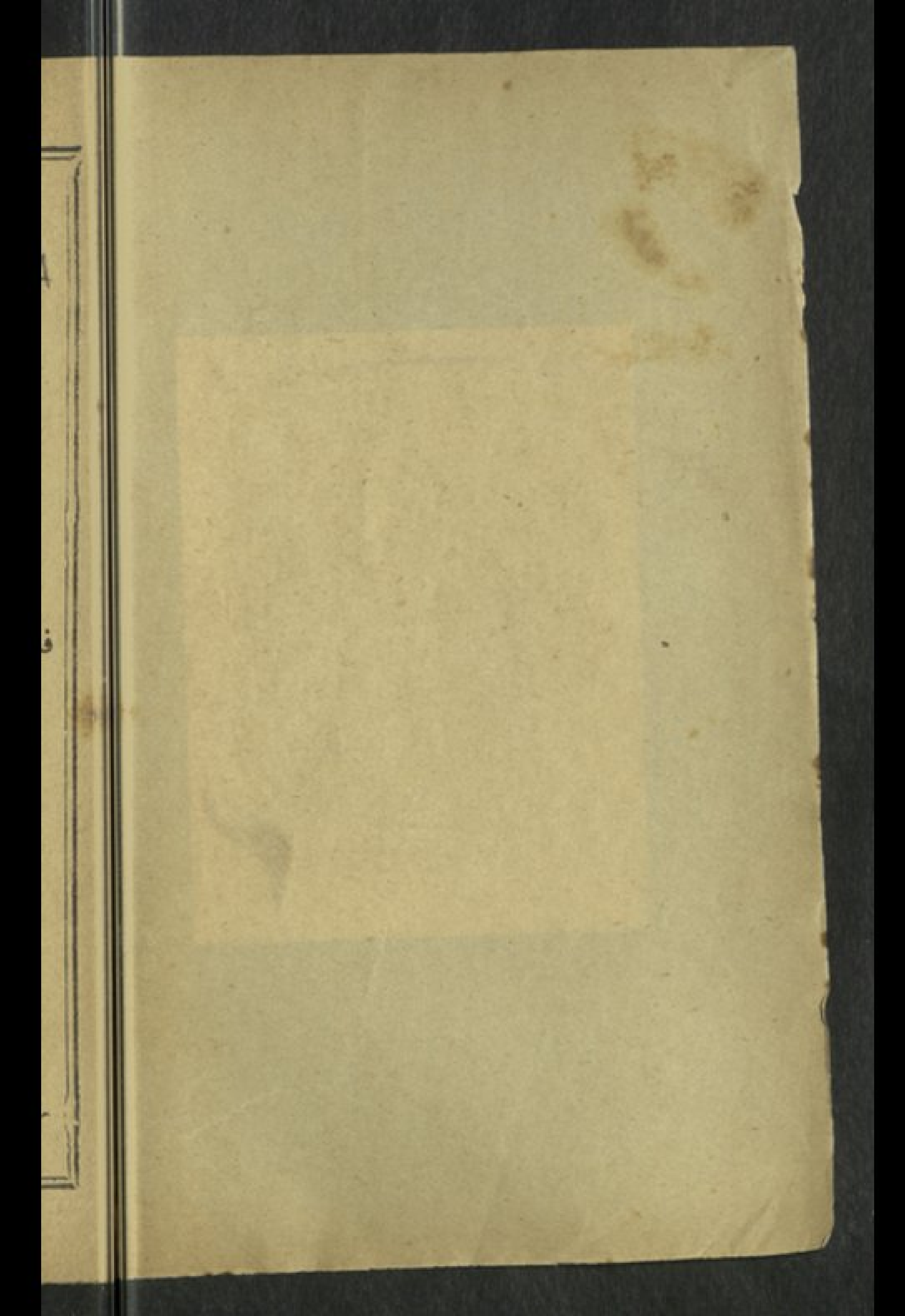
في ١٢ [illegible] سنة ١٩٠٣

[illegible]

رئيس المدرسة

هنري جسب


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



آدم الاوّل

وهو رسالة خصوصية الى الشبان الناطقين بالضاد

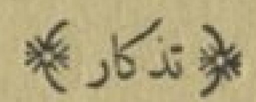
﴿ تأليف انيس بارودي ب٠ ع ﴾

﴿ يوم الرب ﴾

فاحترزوا لانفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتةً ٠ لانه كالفخ ياتي على جميع الجالسين على وجه كل الارض٠ اسهروا اذاً وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا اهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع ان يكون وتقفوا قدام ابن الانسان

لو ٢١ : ٣٤ — ٣٦

طبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا « لبنان » سنة ١٩٠٢



علمت في مدرسة برمانا الداخلية للاولاد اربع سنوات كان في اثنائها حضرة رئيس المدرسة الفاضل المستر توما لتل احرص من اخ ٍ على نفعي وصلاحي وحضرة عقيلته الكريمة اشد التفاتاً من اخت ٍ نحوي فما حييت لا استطيع ان انسى فضلهما

وهذه المدرسة وتسمى مدرسة عين السلام مبنية على رأس تل ٍّ جميل في موقع من احسن مواقع المتن تكتنفها اشجار الصنوبر واليوكالبتوس (شجر الكينا) من كل جانب ٠ وهي تطل على البحر فيتخيل الناظر اليه منها ان امامه ساحة لعب زرقاء ممتدة الى الافق تلعب على اطرافها الامواج متسابقة صفوفاً صفوفاً الى الشاطي وتتراكض في وسطها القوارب والسفن

على انواعها · والى الشرق منها يرى جبل صنين وجبل الكنيسة لابسين شتاء حلتهما البيضاء ومصطبغين صيفاً بصبغة حمراء يشتد احمرارها مساء عند نزول الشمس الى مغيبها

واهمّ ما آنسته في هذه المدرسة الجميلة اهتمام حضرة رئيسها الغيور وعقيلته الفاضلة بآداب التلامذة وتمرينهم على حسن السلوك وتشجيعهم على الالتصاق بالفضائل السامية وتحريضهم على مخافة الله تعالى · وكاني أرى الان ذلك الرئيس الممتلئ بالروح القدس يتمشى في دار المدرسة مع تلميذ صغير ويدهُ ملقاة على كتفهِ وهو يوبخهُ بوداعة على غلطاته وسقطاته ويحثهُ على تحرّي الحق والاستقامة ويوجه انظاره الى المخلص · او كاني أراهُ في ساحة اللعب يصيح وينادي ويهتف ويشجع والاولاد يهتفون حولهُ ويطفرون فرحاً · فاين هذا الرئيس الفاضل من

رئيس آخر لا يرى الاولاد منه سوى تقطيب الوجه وعبوسته

وبالحقيقة ان هذه هي المدرسة الوحيدة في لبنان التي شاهدتها تهتم بآداب التلامذة اهتماماً شديداً الامر الذي هو متراخى عنه جداً في بلادنا. فمن جاز في احدى قرى لبنان وسمع سباب الاولاد ولعنهم ولغتهم اجمالاً تعجب من اهمال الوالدين والمعلمين لتربية الاولاد. فلا عجب اذا رأينا كثيرين من المتجددين المسيحيين في بلادنا يئنون تحت عبء عوائد يعسر عليهم قمعها لتأصلها عن صغر في اجسادهم. فالى امر كهذا نستلفت اولاً انظار الوالدين في بلادنا وثانياً انظار المعلمين عموماً. فما المنفعة لو تعلَّم الولد العلوم كلها ثم وقع فريسة هينة في يد اسد الشرور الجائع

فارجو يا سيدي الفاضل رئيس تلك المدرسة

الزاهرة ويا اخوتي معلميها الكرام ويا احبائي تلامذتها الاعزاء ان تقبلوا تقدمة هذا الكتاب الصغير تذكاراً لتلك الايام الحلوة التي تقضت عليَّ معكم . واذكروا دائماً اين ما كنتم أن في صدر كاتب هذه الكلمات قلباً ينبض حباً لكم ولن ينسى احداً منكم بل يبتهل دائماً الى الله من اجلكم لكي تزدادوا في كل نعمة وتتقوَّوا بكل قوة سموية وتنموا الى ملء قامة المسيح وتتقدموا في طريق الحياة ظافرين الى أن نلتقي جميعنا امام عرش ابي الانوار له المجد الى الابد آمين

عين الرمانة . في ٨ ايلول سنة ١٩٠٢ انيس بارودي



حسن جداً

ما اعظم اعمالك يارب كلها بحكمة صنعت . ملآنة الارض من غناك هذا البحر الكبير الواسع الاطراف هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان مع كبار — مز ١٠٤ : ٣٤ و ٢٥

كثر تحدث الناس عن هذه الارض ونسبوا اليها الفناء زاعمين ان كل ما نراهُ عليها الان هو فانٍ وباطل حتى ان فريق من الشعراء الاجانب دعوها منبع الويلات والحسرات ومقر الشقاء والبلاء ومستودع الحزن والكآبة لا سعادة للانسان فيها الاّ بما يتمتع به نفسه من ملاذها القليلة حيناً بعد آخر . فترى اشعارهم مملوءَة من الاقوال المحزنة تصوّر لك الكون قفراً وعراً فارغاً من كل ما يتلذذ به العقل وتطيب عنده النفس لا ينبوع راحة فيه ولا مرتع

سلام . فاول لفظة تصادفها في بعض كتاباتهم لفظة شقاء وآخر لفظة لفظة موت . وقد اتبع هذه الخطة بعض من شعراء العرب ولا سيما المعوزون منهم او الذين أُصيبوا باحدٍ في عيالهم فاكثروا من اقاويل الحزن والتحسر على السعادة والفرح واظهروا رغبتهم في الذهاب من الدنيا لانها حسب زعمهم ملعب الاكدار

هذا ولا باس من كل ذلك فاننا نعلم ان النفس عند انكسارها وتأثرها من مصاب اليم تخلد الى الاعتزال والسكينة فيتسلط عليها الغم فتأخذ تذم الدنيا وتقذف بقذائف الملامة على خالق الكون كان الحق كلهُ عليه فلا تجد لها في العالم معزياً ولا مفراً من الكآبة التي استولت عليها لان غيمة الحزن كثيفة شديدة السواد يصعب على ابن آدم احتمالها خصوصاً اذا لم يكن له معزٍ سماوي . على انني لا ارى الانسان

مصيباً في جرّهِ الهموم الى راسهِ وحسبانه الدنيا قرارة الشقاء وانصبابه على التأمل بما فيها من المحزنات ونظره دائماً الى المكدرات عوضاً عن المبهجات فان من كان هذا شأنه قضى عمره شقياً تعيساً · فالارض صنعة يد الله وكل ما يصنعه الله حسن غير ان الانسان قد افسدها باختراعاته واعماله كما قال الجامعة « انظر هذا وجدت فقط ان الله صنع الانسان مستقيماً اما هم فطلبوا اختراعات كثيرة » · فمن واجبات الرجل الحكيم ان يوجهِ انظار الناس الى محاسن الطبيعة التي خالقها الله والى معرفته تعالى « لان اموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى انهم بلا عذر » وان يبغض اليهم ما في الدنيا من المفاسد والشرور التي هي اختراع البشر · انما في مدة وجودنا على هذه الارض لا يجب ان نستغرب وقوع المصائب والخسائر والهموم لانه

ليس في الكون شيء ثابت فلا يستطيع احد ان يضمن لنفسه البقاء دقيقة واحدة ولا ان يتكفل بحفظ شيء مما يملكه ثانية واحدة بل لا بد للكل من الزوال فضلاً عن ان عدوّنا ابليس واقف ابداً لنا بالمرصاد ٠ وهذه الارض نفسها المؤلفة من جبال تناغي السماء ووهاد تقارب الجحيم وسهول ممتدة على قدر مدّ البصر وبحور متباعدة الاطراف كلها جارٍ عليها ناموس الانحلال ويومها آتٍ ٠

يتضمن الاصحاح الاول من التكوين نص كيفية خلق الله الارض التي نحن عليها والفلك الممتد فوق رؤوسنا المرصع بالنجوم وكل ما تنظره عيوننا ٠ وقد ذكرت في هذا الاصحاح لفظة حسن سبع مرات فاذا حسبنا العدد ٧ عدداً كاملاً قلنا ان هنالك سبعة اشياء كاملة وقع استحسان الله عليها وربما تحصل فائدة لو اخذنا كل واحد منها على حدته

الحسن الاول . النور

لو طرحنا ابصارنا الى الارض قبل ظهور آدم عليها لوجدناها خربة وخالية ومغمورة بالمياه لا يدبُّ عليها حيوان ولا يسمع فيها خفق نعل انسان . لا ريح تهبّ فيسمع دويها في الاشجار ولا ذئاب تعوي فيمتد عواؤُها في الغابات ولا اسود تزأر فترجف الارض من زئيرها ولا عصافير تزقزق فتملأ الرياض بهجةً وسروراً ولا زهور يحركها النسيم فترسل اريجها في الفضاء ولا نجوم تتلألأ في السماء فتدفع النفس قسراً الى تسبيح الخالق ولا نور يترقرق على صدر المروج الواسعة فيلبسها حلةً بهية — بل هنالك ظلام دامس لا تفزعهُ شمس ولا قمر . هذا وروح الله المنير يرفُّ على وجه المياه كشعلة متقدة في وسط ذلك الظلام المخيف

التفت سبحانه الى الظلام فلم يطب لعينيه مرآهُ

فعزم ان يملك على الارض ملكاً من نور يكون اقوى من الظلمة لا تقوى هذه على الوقوف امامه . نعم يحق لعزتك ايها القدير ان تبغض الظلمة وان لم يسبق لجلالك الاقدس سكن فيها . هذا هو الظلام الذي نراهُ الان سائداً على قسم كبير من الناس . ابتدأ حكمه قبل خلقة الانسان ظلاماً طبيعياً واشتدت وطأته بعد ذلك ظلاماً عقلياً وسيبقى على هذه الارض مخيماً على عقول غير المؤمنين الى ان يظهر كوكب الصبح المنير وتشرق شمس البر والشفاء في اجنحتها (ملا ٤ : ٢)

وكما كان روح الله القدير يرف على وجه تلك المياه المغطاة بالظلام و يبدد الظلمة بروره فيها لان الله نور وليس فيه ظلمة البتة (ابو ١ : ٥) هكذا في الاجيال المتتابعة بعد الخليقة والسقوط كان نور روح الله يحلُّ في قلوب بعض اشخاص مخلصين له كاخنوخ

الذي سار مع الله ولم يوجد لان الله اخذهُ وابرهيم خليل الله وملكي صادق ملك السلام وكثيرين مثلهم فيمرّ رجال كهؤلاء في العالم المظلم كما يمرّ شهاب من الشهب الجوية في الفضاء في ليلة من ليالي كانون الحالكة الظلام ويتركون خلفهم خطّاً من نور يظلُّ مضيئاً الى انتهاء العالم ·

فهل تجد نفسك سعيداً ايها القارئُ العزيز في البقاء في ظلمة الخطية مقيداً بسلاسل رئيس هذا العالم ابليس ومحاطاً بجنوده اعداء الانسانية الذين هم انفسهم في ظلام شديد لا راحة لهم ولا فرح · وهل تفضل الجلوس تحت الغيمة السوداء الممتدة فوق العالم في هذه الايام على الصعود الى راية الله حيث ينزل على راسك ذلك النور البهي المنبثق من عرش ابي الانوار بكمال بهائه وشدته فيكسبك حلةً من نور جميلةً فيستنير عقلك ويلمع وجهك كما لمع وجه موسى

عند اقترابه الى مجد الله على جبل سيناء فتجد نفسك محمولاً في فلك من نور على اوقيانوس هذه الحياة فلا يدركك تياره ولا تبلل ثيابك امواجه ولا تلطخ يديك اقذاره بل تسير في ذلك الفلك الذي هو المسيح آمناً مطمئناً حتى تصل الى شاطئ الابدية الى المدينة التي لا تحتاج الى الشمس ولا الى القمر ليضيئا فيها لان مجد الله قد انارها والخروف سراجها (رؤ ٢١ : ٢٣)

فان لم تكن قد حصلت على هذا النور ايها الاخ فقبل ان تخطو خطوة واحدة بعد قف هنيهة واطلب من الله ان يمزق عن عينيك غشاوة ظلمة الخطية ويغفر ما اسأت به اليه وينير عقلك بنوره السماوي لتفهم جلياً ما ستقرأهُ في هذا الكتاب وان كنت ممن استناروا بهذا النور العجيب فتهلل بالله وافرح واذكر كلام معلمنا العظيم «انتم نور العالم – مت ٥

: ١٤

في تك ١ : ٤ يقال ورأى الله النور انه حسن ·

آه ما اجملك ايها النور وما الطف الاجزاء التي تتركب منها وما ادق تركيب العين التي خلقها الله لتقبلك وما احب وقوعك على قلب الانسان الخاطي · فان كانت عين الخالق القدير قد حكمت بانك حسن فماذا نقول نحن الخطاة الذين ربينا في الظلمة وشبينا فيها وألفتها عيوننا ولم نعرف عن النور الا القليل · نشاهد الشمس صباحاً مطلّةً علينا من وراء جبال لبنان ومرسلةً اشعتها الينا برماح ذهبية فنبتهج ثم عند المساء تضعف قوة هذه الاشعة رويداً رويداً الى ان تغيب الشمس عنا وتقبل جيوش الظلام ولولا املنا برجوعها في الصباح التالي لندبناها ونحنا عليها نوحاً عظيماً بل ربما حسبنا البقاء بعدها من المستحيل · فياللعجب ان الانسان لا يطيق الظلمة الطبيعية

ويسأم منها اذا طالت عن أثنتي عشرة ساعة ولكن قد يظلُّ اياماً وشهوراً واعواماً في ظلام الخطية المهلك بعيداً عن النور غائصاً في بحار الشرور والآثام متمسكاً بحطام الدنيا ملطخاً باقذار العالم شارداً عن حظيرة الخراف — اخرج اخرج من ظلمة مصر الخطية ايها الاخ السوري العزيز وانفض عنك غبار الفساد وتعال معي الى نور جاسان البرّ حيث يسكن اسرائيل السلام . ألا ترى يا اخي ان العالم كله قد وضع في الشرير وليس للخطية عاقبة سوى الموت فاسرع بنا « لنصعد الى جبل الرب الى بيت اله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لانه من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب فيقضي (اي المسيح) بين الامم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل (دلالة على السلام) لا ترفع امة على امة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد .

يا بيت يعقوب هلمَّ فنسلك في نور الرب» — اش ٢
: ٣ — ٥ . هلمَّ يا شبان سوريا الذين يفتخرون بذكاء
عقولهم ومضاء عزائمهم فنسلك في نور الرب . «قد
تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع اعمال الظلمة
ونلبس اسلحة النور»

رأى الله النور انه حسن ففصله عن الظلمة
اذ لا شركة بينهما . «لا تكونوا تحت نير مع غير
المؤمنين لانه اية خلطة للبر والاثم واية شركة للنور
مع الظلمة» (٢ كو ٦ : ١٤) ام اية شركة لله مع
داجون ولتابوت عهد الله مع تمثال اله عقرون
وللانسان المسيحي مع الانسان الشرير . انقدر ان
تجمع بين النار والحطب ام ان تضع تحت نير واحد
الاسد والخروف ام ان تمزج الزيت بالخل . وهكذا
في العالم لا يمكن ان تشترك الظلمة مع النور لان الله
منذ القديم فصل هذا عن تلك . كان في محلة اسرائيل

في ارض جاسان نور بهي في الوقت الذي فيهِ كان على مصر ظلام شديد يلمس باليد . وقف عمود السحاب بين محلة اسرائيل ومحلة المصريين فاضاء على الاسرائيليين من الجانب الواحد وطرح ظلاماً على المصريين من الجانب الآخر . فصل الله ابرهيم عن اهله وابناء عشيرته عبدة الاصنام وامره ان يذهب الى ارض كنعان ليظهر لهُ نورهُ هناك . فصل الله هرون واولاده عن كل جماعة الرب لكي يكهنوا لهُ ويكونوا خاصتهُ . وهكذا في الوقت الحاضر صوت الله ينادينا لنخرج من بين الاشرار فعلة الاثم ولا نشاركهم في خطاياهم . ان كنت عبداً للمسيح فانفصل عن دليلة الخطية التي انت منطرح امامها ومصغياً الى حديثها الخادع وقصصها الكاذبة ولا تكن ضعيفاً كشمشون الذي لقلة انتباهه خسر قوته . ان كنت اميناً للمسيح فلا تدع ايزابل الشر تفصلك

عن نور مخلصك ومحبتهِ . انفصلْ عن بابل الاثم والمعصية عن الاصحاب الارديا، عن الكتب غير الطاهرة والروايات الفاسدة عن الاماكن الدنيئة عن القهاوي ومحلات السكر واقبل الى نور الله فانَّ « النور حلو » كما قال الجامعة . يشقُّ عليَّ ان أرى عدداً من اخوتي المسيحيين في سوريا تحت نير مع غير المؤمنين يقدمون عرقاً في بيوتهم لمن يزورهم اتباعاً للعادة ويشاركون الاشرار في هزلهم وكلامهم غير اللائق وطعنهم في غيرهم حتى انك لا يمكنك ان تميزهم عن سائر الناس . لا يصلح يا اخوتي الاحباء ان نكون مسيحيين وعالميين في وقت واحد . أهذا ما يطلبهُ منا المخلص . أَما قال « هكذا فليضئ نوركم قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات » فلم يخصص هذه الاضاءة بيوم الاحد فقط بل بكل ايام الحياة . فلنصحْ عالمين

ان مجيء المسيح الثاني اقرب مما نظن

من شدة محبة الله للنور سمى المسيح نوراً واخوة المسيح انواراً . ثم يقول صاحب الرؤيا عن اورشليم السموية « والمدينة لا تحتاج الى الشمس ولا الى القمر ليضيئا فيها لان مجد الله قد انارها والخروف سراجها » . فتهلل أيها الاخ المؤمن وانفصل عن كل ما يكدر المسيح انفصالاً تاماً فان المدينة التي انت مدعو للاقامة بها الى الابد ملكها وشمسها الله العظيم وسراجها المسيح الذي وجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها (رؤ ١ : ١٦) . لا ظلمة هناك البتة فتأمل . نور في نور ومجد في مجد . ان حياتنا على هذه الارض كالبخار الذي يظهر قليلاً ثم يضمحل فلنطلب المدينة العتيدة اورشليم السموية حيث نكون في حضرة الآب الى ابد الابدين . ولنعلم اننا ان لم ننفصل هنا عن الظلمة واعمالها فلا نستطيع بعد موتنا

ان ندنو من عرش الله لانه سبحانـه طاهر ويمقت الشر . لا يعرف الانسان قيمة النور الا بعد ان يذوقه ويختبر لذته فحينئذٍ لا يعود يرضى بالرجوع الى الظلمة ولهذا وضع ابليس حجاباً امام عيون غير المؤمنين فحجب عنهم نور السماء ثم اشعل لهم نار الملاذ العالمية فانغرّوا بها وعكفوا عليها رغبةً فيما تنيلهم من السرور الوقتي وانصرفوا الى محبة المال والمجد العالمي والاهواء الفاسدة وعمل الشر كلَّ الانصراف فانحطت عواطفهم الشريفة وفقدت مبادئهم قوة شعورها فنسوا خالقهم ولم يعودوا يكترثون لنواميسه وابتعدوا عن نوره . فاناس كهؤلاء لا يشعرون بخطر مركزهم الا بعد ان يتركوا كل هذه التصرفات الباطلة ويقبلوا الى نور الرب . من يقدر على وصف سرور سجين أُطلق عنه اسارهُ بعد سجن عشرة سنين في قبوٍ مظلمٍ تحت الارض . وماذا تكون حاسات قلبهِ عند ما يقابل

نور الصباح · هكذا يكون فرح التائب بعد رجوعهِ الى المسيح · آه ما اجهلك ايها الانسان ومــا اقل معرفتك واقبح اعمالك · أتموت عطشاً ونهر ماء الحياة جارٍ تحت قدميك · أتختار الظلمة ووحشتها وامامك عالم من نور وسماء من نور والهٌ من نور وفي اذنك صوت يدعوك الى العرش الى حضرة ابي الانوار

الحسن الثاني

ودعا الله اليابسة ارضاً ومجتمع المياه دعاهُ بحاراً ورأى الله ذلك انهُ حسن · (تك ١ : ١٠) · امر الرب الاله المياه ان تجتمع في مكان واحد فاجتمعت وظهرت الارض بلقعاً عارياً من الاشجار · وابتدأ البحر يلطمها بامواجهِ ثم تفجرت الينابيع من جوانب الجبال واخذت تحفر لها مجاري في الارض المنخفضة حتى بلغت البحار فصبت فيها · وبعض هذه الانهر وصلت الى اودية واطئة فلم تجد لهـا منفذاً

منها فاجتمعت مياهها فيها وكوّنت بحيرات . هذا وعين الله تراقب كل حركة وتلاحظ كل تغيير حتى استقرت الارض على هيئة ثابتة فرأى الله ذلك انه حسن . لا ريب في ان الله سرّ لما انفصلت المياه عن اليابسة لان طبيعته الالهية تأبى الا ان تكون اعماله على غاية من الترتيب والانقان . فكما فصل سبحانه اولاً النور عن الظلمة هكذا الان فصل المياه عن اليبس . ومن الغريب ان يسوع سمى نفسه في مكان واحد نور العالم اشارة الى ان العالم يهتدي به الى الخلاص وينجو من الظلمة ثم اخبر المرأة السامرية في مكان آخر بانه ينبوع ماء الحياة . فالنور والماء لفظان واردان مراراً كثيرة في العهد الجديد ولهما علاقة كلية بحياة المخلص ووظيفتهِ .

ثم جعل الله علاقة شديدة بين الانسان والماء فلا يستطيع الانسان ان يعيش على الارض بدون

ماء وكلما اشتد عطشه وجد الماء شهياً لذيذاً . أليس من العجيب ان المخلص لاحظ افتقار الانسان الى الماء وطلبهُ الشديد لهُ فدعى ذاتهُ ينبوع ماء ليكون في خادمه شوق اليه واعتماد دائم على القوة الصادرة منهُ . خرج صياد من بيته واخذ يضرب في السهول يصطاد الطيور والحيوانات البرّية حتى ابتعد كثيراً عن البيوت وهام في بادية لا يعلم منها شيئاً فعطش وجعل يسعى من الجهة الواحدة الى الجهة الاخرى في طلب الماء فلم يجد حتى اخذ الاعياء منه كل مأخذ فارتمى على الارض على آخر رمق من الحياة . ثم اخذت تأتي الى رأسه صور ينابيع كان يشرب منها بالقرب من بيته وانهر ماء حيّ كان يسرع اليها عند اشتداد عطشه واباريق كان يملأها ماءً بارداً ويديرها الى فمه الخ وفيما هو على هذه الحال اقبل عليه رجل واخذ بيده وانهضه واقتادهُ بضع اذرع

وقال له انظر ففتح عينيه واذا به يرى امامه نهراً مياهه صافية كالبلور يجري في وسط تلك الرمال المحرقة فانخطف اليه وشرب حتى ارتوى

كثيراً ما نصادف في هذا العالم رجالاً او نساءً او شباناً اضنتهم حوادث الدهر وتقلب الايام وتوالت عليهم المصائب والهموم وتكررت عليهم الضربات وذلك اماً بتوفي اعز اصدقائهم او بعجزهم عن تحصيل معاشهم او بابتلائهم بمرض عضال او بضجرهم من الشر والخلاعة ونزوع نفوسهم الى البر والتقوى فتراهم سائحين في فيافي الهموم قلقي الافكار كالحي الوجوه عطاش الى الراحة والسلام . فهؤلاء هم الذين يناديهم المسيح قائلاً « ان عطش احد فليقبل اليّ ويشرب » . ايها السوري الحبيب ما لك ولزيد وعمرو فاقبل الى المسيح بكل قوتك وارم بنفسك الى ينبوع ماء الحياة الخارج من الاكام

الدهرية الذي ماؤُهُ انقى من البلور واعذب من كل ينابيع لبنان · لماذا تسير على اليابسة حاملاً احمالاً ثقيلة لم يقوَ سلفاؤُك على حملها متوغلاً في برّ هذا العالم كاداً الليل والنهار في طلب الدراهم وساعياً وراء الراحة العالمية التي هي كالسراب يبعد كلما اقتربت منه · خذ ساعتك من جيبك وتنصَّت للثواني وتأمل سرعة ركضها · اعتبر بالايام وسرعة مرورها · ألا ترى ان العالم جارٍ جرياً حثيثاً نحو الابدية عند ما تظهر علامة ابن الانسان في السحاب وترتجف الارض ارتجافاً · أأنت حاضر الموقوف امام كرسي المسيح لتعطي حساباً عن نفسك · ألا تشعر في قلبك بعطش الى المسيح · فلا تدع دقيقةً تمر حتى تحصل على يسوع وتشرب من ماء الحياة · هنيئاً لكِ ايتها النفس العطشانة الى ربكِ التي مللتِ من التجوال في قفر الخطية بعيداً عن الهكِ والآن انتِ تسعين نحو

ينبوع ماء الحياة الخارج من فردوس الله تاركةً وراءكِ العالم واهتماماتهِ وخطاياه فاعلمي ان مخلصكِ يشتاق اليكِ اكثر مما تشتاقين اليه وهو قريب منكِ فاطرحي كل خطاياكِ على صليب الجلجثة واجلسي الى مياه الحياة واشربي مجاناً ٠

هذا ما نحتاج اليهِ يااخوتي الاعزاء شبان سوريا ٠ تعلمنا العلوم وانهينا دروسنا في المدارس الاستعدادية والكلية ومهرنا في الكتابة العربية والانكليزية وحصلنا على مراكز مهمة في سوريا ومصر وغيرهما من البلدان فسبقنا اجدادنا في المعارف والفنون وفقنا الشبان الغربيين في امور كثيرة ٠ ولكن ان لم نتجاوز هذا كلهُ الى ما هو اسمى منهُ فلسنا شيئاً ٠ من تعلَّم كل العلوم وفاق كل شبان الارض شطارةً وذكاءً ولم يحصل على المسيح فهو باقٍ على اليابسة ٠ لماذا لا نكلِّل عقولنا الحادة باكاليل البر

والطهارة بدلاً من ان نلطخها باقذار الفساد والدعارة ٠ لماذا لا نجتهد في ان نملأ قلوبنا بروح المسيح كما نجتهد في ان نملأ جيابنا بالاصفر الرنان ٠ لماذا لا نقصد ينبوع ماء الحياة صباحاً ومساءً ان لم نقل كل النهار لنشرب من مائهِ العذب ونتلذذ بالمسيح ونمتلئ بالروح القدس عوضاً عن ان نقصد الضيبه ونبع الصفا ونبع الباروك وسائر ينابيع لبنان الباردة لارتشاف المسكر واهانة الخالق وارتكاب المحرَّم والتلذذ بالاعمال الشيطانية والامتلاء بروح العالم ٠ لماذا لا نقصد الكنائس نهار الاحد لسماع كلام الوعظ والارشاد عوضاً عن الذهاب الى الحانات والقهاوي ومحلاَّت اللهو٠ لماذا لا نبذل دراهمنا في سبيل انهاض الكنيسة المسيحية في بلادنا عوضاً عن ان ننفقها في سُبُل الشر والخلاعة ٠ يسرنا ان نرى تقدُّماً بيّناً نحو الصلاح في بلادنا ولكن يعزُّ علينا ان نرى المتعلمينَ من شباننا

يترفعون عن المسيح ويقفون على اليابسة بجانب علومهم
تاركين ينبوع ماء الحياة وشأنهُ · يوم المسيح قريب
فلنضرم نار محبة المسيح في قلوبنا · ان لم يكن المسيح
ساكناً في القلب فباطل كل تعب الانسان· فلننفصل
عن اليابسة انفصالاً تاماً · اهتمام العالم هو عداوة لله
لان الذي يهتم بالعالم لا يستطيع ان يرضي الله ·
المسافر براً يقف وقتاً بعد آخر ليتحقق اذا كان لم
يزل سائراً في الطريق المستقيم واما المسافر بحراً
فيسلّم نفسهُ تسليماً تاماً الى القبطان الذي يدبر
السفينة · فأنتِ يانفسي كل اهتمامك على يسوع
قبطانك الوحيد واتركي اليابسة وادخلي فلك الخلاص
آمنةً متيقنةً ان رئيس خلاصك واقف على مقدم
السفينة وهو عالمٌ بكل المخاطر والاهوال التي
ستتصدّى لكِ في سفرك لانهُ ابن الله فلا تقلقي ولا
تخافي فانك بعد قليل ستدخلين المينا الامين حيث

لا عواصف ولا امواج ولا شيء من مثل ذلك ·
هلِّلويا

الحسن الثالث

فاخرجت الارض عشباً و بقلاً يبزر بزراً كجنسهِ وشجراً يعمل ثمراً بزره فيهِ كجنسهِ ورأَى الله ذلك انهُ حسن (تك ١ : ١٢) · امر الله اليابسة بعد ان فصل المياه عنها ان تنبت شجراً وعشباً فانبتت حسب امره وابتدأَت التلال تكتسي حلة خضراء والمروج رداءً اخضر · واخذت الاشجار ترفع رؤُوسها في كل هضبةٍ ووادٍ وفاح في السهول اريج الازهار ووقعت اشعة الشمس على هذه الرياض الجديدة فملأَتها نوراً واضافت الى جمالها رونقاً وبهاءً ثم ظهرت الاثمار على الاشجار فنضجت وعملت بزراً و بعد مدةٍ سقط بزرها الى الارض · فلما رأَى الله ذلك حكم بان ما خلقهُ حسن ·

قال اشعياء النبي مساقاً بالروح القدس وهو
نفس روح الاب الذي كان يرفُّ فوق الغمر قبل
الخليقة « صوت قائلٍ نادِ فقال بماذا انادي كل
جسد عشب وكل جمالِهِ كزهر الحقل يبس العشب
ذبل الزهر لان نفخة الرب هبت عليهِ حقاً الشعب
عشب يبس العشب ذبل الزهر واما كلمة الهنا فتثبت
الى الابد — اش ٤٠ : ٦ — ٨ . ثم تناول بطرس هذا
المعنى فوضعهُ هكذا « لان كل جسد كعشب وكل
مجد انسان كزهر عشب العشب يبس وزهره سقط
واما كلمة الرب فتثبت الى الابد وهذه هي الكلمة التي
بشرتم بها — ١ بط ١ : ٢٤ و ٢٥ . عيَّن الله اعماراً
للاشجار فاصبحت هي ايضاً تحت حكم الفناء كباقي
موجودات هذا العالم . ثم شبَّه جسد الانسان بالعشب
ومجدهُ بزهر العشب وكما ان العشب ييبس فينقرض
والزهر يذبل فيسقط كذلك جسدك ايها الانسان

محكوم عليه بالانقراض ومجدك كله باطل وقبض الريح · فابكِ ايها الغني مولولاً · تعبتَ في حياتك وكنزت الاموال وبنيت القصور انما لي عليك ان تذهب الى موضع خلاء في ضاحية البلدة التي انت فيها وتجلس هناك في ظل اشجار السرو وتفكرِ في العظام البالية المنتشرة امامك التي كانت يوماً مؤلفةً جسداً كجسدك يتحرّك ويأكل ويشرب ويتكلم ولم يبقَ منهُ الآن الأعظام جرداء تتحوّل سريعاً الى تراب · هلمّوا يا اصحاب المجد والمقام الرفيع الذين تقضون حياتكم سعياً وراء الالقاب والرتب السامية ولا تفتكرون بالله وتجرعون كؤوس الملذات العالمية مترعةً ناسين ان في العلاء عيناً ناظرة كلَّ ما تفعلون — هلمّوا الى قبور آبائكم وقفوا عليها دقيقةً وتأملوا وراجعوا في عقولكم تاريخ حياة اولئك الذين سبقوكم الى احضان الموت ولم يتركوا امام عيونكم الأ

عظامهم البالية لتعتبروا بها · لقد دفن مجدهم معهم في القبور ولم يتخطَّ منهُ شيء الى مركز ابي الانوار · حدّقوا الى قبور اولئك الذين فتنهم المجد العالمي فتبعوهُ وسحرتهم الملاذُ النفسانية فارخوا لفرس اهوائهم العنان تجدوا مكتوباً عليها باحرف سوداء لا تمحى الجملة الآتية « كل جسد عشب وكل جمالهِ كزهر الحقل ييبس العشب ذبل الزهر لان نفخة الرب هبَّت عليهِ » · تفرُّون في العالم من مكان الى آخر فتقعون تارةً في القهاوي حيث تجدون لكم رفقاء في الشر تصرفون الساعات معهم تعيبون هذا وتعيّرون ذاك تضحكون على هذا وتشتمون ذاك تسبّون هذا وتملقون ذاك تحسدون هذا وتطمعون في اموال ذاك وتارةً في المحلات الدنيئة حيث الشر والفساد · واذا كلمكم احد عن المسيح ديَّان الجميع هزأتم بهِ ونسبتم اليهِ الخفة والجنون وقلتم له « يوم الله يعين الله »

«متى حصلت على فرصة استدعيك» او هربتم منه وتجنبتموه . أولستم تعلمون ان اجسادكم كالعشب وانكم وان فررتم من اخيكم الذي ينذركم وينبهكم على الرجوع الى المسيح فمن الموت لا تفرّون لان هذا الجسد لذي هو كالعشب لا بدّ من ان ييبس فماذا تفعلون حينئذٍ . هلمّوا ايها الشبان المزدرون الذين تصرفون النهار في الاحاديث الفارغة الشريرة والليل في معاقرة المسكرات والاعمال الدنسة ومع ذلك نتوهمون انكم اقوياء اصحاء الاجسام لا تقدر الامراض على مناوأتكم ولا مصائب الدهر على اذلالكم — هلمّوا فاسير بكم الى قبر شاب كان اقوى منكم جسماً واعزّ شأناً وها هو الان عظام يابسة تنحتها اسنان الدود الحادّة ولسان حالهِ يقول «اذكر خالقك في ايام شبابك قبل ان تأتي ايام الشر او تجيء السنون اذ تقول ليس لي فيها سرور»

فليتأمل اصحاب العقول · ولكن بقربه قبر شاب آخر تبع المسيح منذ حداثته والقى كل اهتمامه على الله · ترك محبة العالم والتصق بالرب · نبذ عنه الافكار الشريرة وامتلأ بالروح القدس · رفض الذهاب الى محلات الشر وانكبّ على عمل الخير وتخليص نفوس الآخرين · فدعاه بغتةً داعي المنون وانتقل من هذا العالم ولسانه يلهج بالعالم الآتي وكاني ارى المسيح واقفاً على ضريح هذا الشاب الاخير يكتب عليه باحرف ذهبية الجملة الآتية «لا تخف انا هو الاول والآخر والحي وكنت ميتاً وها انا حيٌّ الى ابد الابدين آمين ولي مفاتيح الهاوية والموت»

فالى حياةٍ جميلة كحياة هذا الشاب الاخير يدعوك المسيح ايها الاخ السوري العزيز · حياة لا غمٌ فيها ولا كدر حتى ولا موت لانهُ قال « من

آمن بي ولو مات فسيحيا » بل فرح وسلام في الروح القدس . فان العشب ييبس وكل اطايب العالم تفنى واما الذي هو غصن في الكرمة الحقيقية فلا يترك هذا الجسد الا ليأخذ جسداً روحانياً مشابهاً لجسد مجد المسيح

الحسن الرابع

فعمل الله النورين العظيمين النور الاكبر لحكم النهار والنور الاصغر لحكم الليل والنجوم وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الارض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة ورأى الله ذلك انه حسن — تك ١ : ١٦ — ١٨

فصل الله اولاً النور عن الظلمة والان رأى سبحانه ان لا بدّ للنور من حاكم نخلق الشمس والقمر والنجوم . وجود الشمس من اقوى الادلة على وجود الحق سبحانه تعالى . كرة من نور تظهر للعين انها

تدور حول الارض · ترسل نوراً متواصلاً وحرارة معتدلة الى الارض على معدل واحد من اول السنة الى آخرها · حجمها لا يتغير · تقرب منا في الشتاء وتبعد عنا في الصيف · تغيب عنا مساء فلا نشك في رجوعها الينا من الشرق في الصباح التالي · تحجب عنا بالغيوم في الشتاء فنشتاق حالاً اليها ونترقب فرصة ظهورها · وبالجملة فان حياتنا كلها متوقفة عليها فلا عجب اذا استحسنها القدير ولا عجب ايضاً اذا عبدها الاقدمون وقدّموا لها التقادم والسجود · فاين الطبيعيون واين من لا يقدّر اعمال الله حق قدرها فان وراء الشمس يدٌ سرمديةٌ تديرها على محورها وتسيّر السيارات حولها وتحفظ الحرارة والنور على معدلٍ واحد وتدفع الارض حول الشمس دفعاً محكماً حتى لا يحصل خلل في المواقيت · ما اقدركِ ايتها الذراع الالهية على عمل العجائب وما اقل ثقة

الانسان بقوتك وما اجحده لمعروفك يرى شمسك تشرق في الصباح فينهض الى الشر والفساد والربح القبيح عوضاً عن التسبيح والتمجيد لمن اوجد له النور ويراها تغيب في المساء فيسرّ بقدوم الظلمة لانها تسدل ستاراً على اعماله الخسيسة

« السلطان والهيبة عند الله · هو صانع السلام في اعاليه · هل من عدد لجنوده · وعلى من لا يشرق نوره فكيف يتبرَّر الانسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة · هوذا نفس القمر لا يضيء والكواكب غير نقيَّة في عينيه فكم بالحري الانسان الرمة وابن آدم الدود » (اي ٢٥ : ٢ — ٦) · من هو الانسان حتى يتجبَّر على الله ويسبّ القدير فان القمر الناصع البياض يعدُّ غير طاهر في عينيه والشمس في اشتدادها لا تقابل بنور وجهه ومع هذا كله فاننا نرى يومياً عدداً عظيماً من الناس يحتقرون

الله باعمالهم و يعصون شرائعهُ ووصاياه و يدوسون نواميسهُ بارجلهم · فالحذر ايها القارئ من ان تنقاد الى قوم كهؤلاء لان الوقوع بيد الله مخيف كيف لا وهو نارٌ آكلة · فجبل سيناء في بلاد العرب شاهد على عظمة الرب وجلالهِ وسيبقى يتكلم عن مجدهِ في تلك الصحراء المحرقة الى ان تنحلّ السماء بضجيج وتحترق الارض والمصنوعات التي فيها ·

الحسن الخامس

نظر القدير الى الاشجار فوجدهـا ساكتة لا صوت بين اغصانها ولا حيوان في ظلها فخلق حالاً الطيور على اجناسها لتغرّد على الاغصان وتملأ الرياض فرحاً والاسماك لتعيش في البحر وتكون مأكلاً للحيوان الناطق الذي كان ناوياً ان يخلقهُ · و بعد هذا وقف سبحانهُ ليسمع زقزقة الطيور و يشاهد حركات هذه الحيوانات الجديدة · فرأى النسر يصفر و يعلو

في الهواء الى اعالي الجوّ ليتخذ مركزه المعطى لهُ كملك الطيور والسنونو تخطف كالبرق فوق المروج لتروّض جناحها والغراب يسرع ناعباً الى الصخور الشاهقة ليفتش على جيفةٍ يأكل منها والزحافات والدبابات البحرية تجول في قعر البحر معجبةً بحمل المياه المالحة الثقيل الذي فوقها والاسماك تارةً تشبُّ فوق سطح الماء وتارةً تغوص فيهِ فرحةً بهذا الوطن الجديد . فحكم الله حينئذٍ بانَّ ما خلقهُ حسن . ومن الذي لا تلذُّ لهُ مراقبة حركات الطيور والاستماع الى اغاريدها فانها تصرف النفس عن الدنيا وتجعل العقل يسوح في عالم من الخيال محلًّى بحلى الطهارة ومرشوشاً بماء العفة وبمنجاة عن كل ما يدنّس او يفسد . بل تقرب النفس من السماء وتوجه اليها نسيماً فردوسياً يخدّر ما فيها من العوامل الدنيويَّة الواطئة ويحرّك ما فيها من عوامل المحبة لله ولذة التقرب من السماء .

وان لله قصداً في خلقه الطيور وخصوصاً المغرّدة منها وعلى الحكيم ايجاد هذا القصد ·

نعم ان الطبيعة طاهرة وجميلة وان تكن طبيعة الانسان فاسدة ومنحطة · فكّر في النحلة فانها لا تمسُّ نجساً ولا شيئاً قذراً بل تتنقل من زهرة الى اخرى تمتصّ العسل وتعرض عما سواه · هكذا فلتكن حياتك ايها الشاب السوري فان بلادك مقدسة وهي التي تفيض لبناً وعسلاً · اذهب الى النحلة وتعلم منها · فكم من شاب صحيح الاديم عريق السلالة يدّعي العلم والآداب ويتمدّح بما فطر عليه من العزم وعلو الهمّة القى العنان على عنق جواد شهواتهِ فسار بهِ الى اماكن محظور على الشريف دخولها فجلس هناك بجانب مناقع الخطايا والاقذار يشتم رائحة الزهور النابتة في مياهها القذرة الراكدة ثم يعود الى مجلس الادباء باسماً متوهماً انهُ لم يرهُ احد · انا

شابٍ واعلم قسماً كبيراً من الاخطار التي تتعرَّض لشباننا لدن دخولهم المدن الكبرى كبيروت وغيرها فان التمدن الاوربي كما اطار الى بلادنا بلابل افراح تصدح على ادواح مسراتنا كذلك ساق الينا افاعي وثعابين تنساب الى الغافلين من شباننا فتلدغهم ٠ اه ما اخطر زمن الشبوبية لشاب ضعيف يميل مع الريح وما اجملهُ لشاب قوي الارادة طاهر القلب ابيّ النفس لا يسلّم لافعوان الدناسة بالدنوّ منهُ ولو على خسران حياتهِ ٠ قال تنسون الشاعر الانكليزي

قوّتي كقوّة عشرة لأنَّ قلبي طاهر

كثيراً ما اغبط شبان قرى جبل لبنان

بمعيشتهم فانهم بعيدون عن ضجَّة المدن وفخفخة المدنية وبهرجة الحضارة ومفاسد محلات اللهو يشتغلون النهار كلَّهُ والعرق يقطر من وجوههم المتوردة ثم ينصرفون مساءً الى بيوتهم فيغتسلون ويلبسون ثياباً

نظيفة غير ثياب الشغل ويصطفون حول النار في الشتاء وعلى المساطب امام البيوت في الصيف يتحادثون عن الغنم والمعزى والبقر والتوت الخ وفي هذه الايام عن اميركا · ثم نحو الساعة الثالثة عربية يذهب كلٌّ الى فراشهِ فيستغرق في النوم حالما يلقي راسهُ على الوسادة كأنَّ لا همَّ عليهِ · فما اجمل حياة كهذه اذا كانت مقرونة بمحبة المسيح وحياتهِ · وبخلاف ذلك في المدن فان الشاب يمضي ليلاً الى القهاوي فيملأ بطنهُ من المسكر ويأخذ يترنح في الشارع جائلاً من مكان الى آخر فلا يعود الى بيتهِ حتى الساعة الثانية او الثالثة بعد نصف الليل فينام ثلاث او اربع ساعات وينهض باكراً لشغلهِ · ويمكنك ان تتصوَّر كيف تكون حالته من النعس في اليوم التالي وكيف يكون وجهه مصفرّاً

فالحذر يا اخوتي شبان قرى لبنان من ان تجعلوا

اهداب ثيابكم تتلطخ باوحال مفاسد المدنية · اهجروا المسكر وامتلئوا بروح المسيح · ها إنَّ التلال حولنا مكلَّلة بالاشجار الخضراء الطاهرة ورائحة البنفسج تفوح من جوانب بيوتنا وجبالنا موشَّحة بوشاح ابيض ينبعث من فوقهِ الينا نسيم بارد عليل · والطيور جاثمة على الاغصان حوالينا تملأ الفضاء بانغامها الحلوة · فلماذا لا نجعل قلوبنا طاهرة كطهارة الطبيعة التي حولنا وفرحةً كفرح العصافير ايام الربيع · فيا ايها القلب اللبناني النشيط كن صافياً كصفاء الثلج المتراكم على قمة جبل لبنان ونقياً كنقاوة المياه المنفجرة من سفوح لبنان وطاهراً كطهارة الندى المتلألئ صباحاً على ربيع اكام لبنان وحلواً كحلاوة نسيم الصبا المترامي غدوةً من رؤوس تلال لبنان وعفيفاً كالنرجس النامي بين صخور لبنان وفرحاً كفرح اشعة الشمس الراقصة باكراً على سهول لبنان

الحسن السادس

فعمل الله وحوش الارض كاجناسها والبهائم كاجناسها وجميع دبابات الارض كاجناسها ورأى الله ذلك انهُ حسن (تك ١ : ٢٥) لا شك في ان نظر القدير وقع على الاسد فاعجبهُ الشعر النازل على جبهته وعنقهِ وعلى الحصان فسرَّ بحسن مشيتهِ وعلى الحية فادهشتهُ حكمتها ودهاؤُها وعلى الكلب فاذهلتهُ فطنتهُ وامانتهُ ومحافظتهُ على وداد صاحبهِ وعلى الحمل فارتاح الى وداعتهِ وهدوه واتضاعهِ فحكم بأنَّ ما خلقهُ حسن . فمن واجبات المسيحي ان يكون حنوناً الى الحيوانات البكم التي يصادفها يومياً فان عين الله حكمت بان كل الحيوانات العائشة على الارض حسنة .

الحسن السابع

وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا....

نخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه .
ذكراً وانثى خلقهم ...... ورأى الله كل ما عمله
فاذا هو حسن جداً — تك ١ : ٢٦ و ٢٧ و ٣١ .
نظر الله الى الكون بعد ان اكمل خلقه فشاهد الشمس
منسابة في الجو تبعث باشعتها في الفضاء الى امدٍ
بعيد والقمر مقيداً اليها لا يستطيع عنها فراراً والغيوم
سابحة فوق الارض تسوقها الرياح ذهاباً واياباً
والاشجار رافعة رؤوسها نحو السماء تسابق بعضها
بعضاً في النماء والاعشاب تتضامّ الى بعضها فتصد
اشعة الشمس عن الوصول الى الارض فتظلُّ التربة
حول جذورها نديـة والوحوش والدبابات وسائر
الحيوانات تجول في الرياض ترعى العشب معاً على
غاية من السلام والطمأنينة . الاسد لا يتعدّى على
الحمل ولا الهرّ على الفارة . النمر لا يعرف طعم الدم
ولا الذئب اكل اللحوم . فعزم سبحانه حينئذٍ ان

يخلق الانسان على صورتهِ تعالى ليكون رئيساً على كل ما خلقهُ وحاكماً مطلقاً على الكون فجلب كمية من التراب وصبَّ عليها ماء وجبلها ثم اخذ يركّب منها جسماً ولما انتهى من تركيبهِ نفخ في انفهِ فصار آدم نفساً حيةً فوثب واقفاً على رجليهِ وفتح عينيهِ فرأى امامهُ جنةً واسعةً فيها من كل انواعِ الشجر المثمر فعلّمهُ الله طريقة الاكل والشرب فاخذ آدم يطوف بين تلك الاشجار مغموراً بقداسة سماوية وطهارة الهية وعلى هامتهِ اكليل من البرّ ما مسّتهُ بعد يد الفساد وفي صدرهِ قلبٌ ينبض نبضاً لطيفاً وقلّما يدري بما ستفعل بهِ عوامل هذا الدهر بعد ذلك الحين بقليل وفي رأسهِ عقل مستقرة عليه انوار سموية لا يفتكر الاَّ بالسماء ولا يهتمّ الاَّ بارضاء خالقهِ . لا زاوية فيه للحسد ولا مركز للطمع . لا موضع فيه للشهوات ولا محطّ لاهوائها . لا اثر فيه للكبرياء ولا

مجال لعوامله بل هو صافٍ رائق لامع مستنير تقع عليه انوار محبة الله فيتلألأ ويرسل قسماً من تلك الاشعة الى ما حوله من الكائنات فتظهر هذه ايضاً طاهرةً لعينيه باسمةً له مرحبةً بهِ . فكأنما عقل ابينا آدم في تلك الحال الفردوسية قطعة من الألماس النقي اصابتها اشعة الشمس فتوهجت توهجاً رائعاً جهير المنظر يشده العيون فلا يخيَّل للناظر اليها الاَّ ان امامه رسم الطهارة والعفَّة ومثال الرونق والبهاء .

فيالها من حياة طهارة في طهارة وقداسة في قداسة ونعيم في نعيم تتوق اليها نفوسنا الملطخة بالآثام ونتمنى لو أن آدم لم يخطأ ولا فقد هذه النعمة التي ليس فوقها نعمة .

ومن اعجب ما يكون ان ادم كان حينئذٍ في درجة من القداسة لم يعد يرى عندها عُريَ جسمه واظن المقصود بذلك انه كان مبتلعاً بالقداسة الى حدٍ

نسي عنده جسده تماماً ولم يهتم به . فان اهتمام الجسد هو عداوة لله كما قال الرسول بولس (رو ٨ : ٧) . فعلى قدر ما ينمو المسيحي في القداسة تزداد رغبته في الاشياء الروحية و يدخل في سحابة الله فلا يعود يهتم بامور جسده . فان المسيح بقي اربعين يوماً في البرية صائماً يجرَّب من ابليس ولم يطلب خبزاً كما فعل موسى قبله لما كان على جبل حوريب مع الله . ومعلوم ان الخاطي يزداد التفاتا الى جسده على نسبة توغله في الخطية ويقل اكتراثه به على نسبة هجره الشر واقترابه من الله . فنبع الشر محبة الذات فلولاها ما ابتعد الانسان عن خالقه وتعرَّى من القداسة فتجرُّده عن محبة الذات تجده مستعداً لقبول خلاص الله بلا مانع . فاترك ايها المسافر في برّ هذا العالم نحو الابدية محبة الذات المتسلطة عليك واعلم أنّ في المسيح نجاة من كل النقائص

التي تسللت الى جسدك · ففكرِ في الاعداد الاتية تجد ان صفات المسيح الطاهرة كانت خالية من وصمة محبة الذات : « لا تنظروا كل واحد الى ما هو لنفسهِ بل كل واحد الى ما هو لآخرين ايضاً فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع ايضاً الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلاً لله (اي لم يحسب معادلتهُ لله شيئاً يحسن اختلاسهُ والقبض عليهِ فانهُ كان في استطاعة المسيح ان يبقى معادلاً لله مطمئناً ويترك العالم وشأنهُ في الخطية) بل اخلى نفسهُ آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسهُ واطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعهُ الله ايضاً واعطاهُ اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو ربٌّ

لمجد الله الآب (في ٢ : ٤—١١)

والخلاصة هذا هو الانسان الذي خلقهُ الله على صورتهِ تعالى كشبههِ واقامهُ في وسط مخلوقاتهِ ليدبّرها ويعتني بها ولما اكمل الله كل ذلك رأى ان كلّ ما خلقهُ حسن جدًّا . وكيف لا يكون حسناً ويد القدير ابدعتهُ . نعم ان العالم في الوقت الحاضر مشدَّخ الراس مشوَّه الوجه لان السقوط اثَّر فيهِ واللعنة وقعت عليهِ كما سترى في الفصول التابعة ولكن آثار الجمال القديم لا تزال باديةً لا تمحوها الايام ولا تطمسها السنون . اذهب الى قلعة بعلبك فتراها خراباً وعلى جدرانها علائم الهيبة والجلال رغماً عن تعدّيات السنين والاجيال وعلى عواميدها دلائل الرونق والاناقة وان يكن بعضها مهشّماً وبعضها منطرحاً على الارض تدوسهُ اقدام السياح والزائرين وستبقى هذه القلعة مضطجعة في ذلك السهل المتباعد

الاطراف تشهد بقوة وذكاء مشيديها الى ان يمنّ الله عليها بمن يبنيها ثانية وينهض عواميدها الراقدة . وهكذا حال ارضنا الحاضرة . فكأني ارى في الماضي البعيد صورة بهية هي صورة ارضنا عند ما خرجت من تحت يد الله صانعها . مزدانة باجمل ما تقع عليهِ عين انسان تتلألأ في البعد كما يتلألأ جبل من جليد عائم على وجه الاوقيانوس في الافق والشمس من ورائهِ نازلة الى مغيبها . في ذلك الحين كانت الارض سعيدة بل في اعلى طبقة من حسنها وجمالها كما كانت قلعة بعلبك ليلة الاحتفال بتمام بنائها . وحالتها الحاضرة كحالة هذه القلعة اليوم . انما لنا الايمان الوطيد بان الرب يسوع المسيح سيأتي عن قريب و يرفع الاعمدة الساقطة من هيكل الانسانيـة و يرد الى الارض حسنها و يحكم الف سنة (البعض يقولون ان هذا الحكم يكون روحياً والبعض جسدياً ولكن كيفما

كان فلنا الثقة بان مجيئه سيكون لاجل اصلاح العالم
واخضاع كل رياسة لان الشيطان يكون مقيداً
حينئذٍ) فلنكن مستعدين لان يوم الرب كلصٍ في
الليل هكذا يجيء لانهُ حينما يقولون سلام وامان
يفاجئهم هلاك بغتةً كالمخاض للحبلى فلا ينجون
(١ تس ٥ : ٢ و ٣) . هكذا قال السيد الرب في
يوم تطهيري اياكم من كل آثامكم اسكنكم في المدن
فتبنى الخرب وتفلح الارض الخربة عوضاً عن كونها
خربة امام عيني كل عابر فيقولون هذه الارض الخربة
صارت كجنة عدن (عدن معناها سرور وابتهاج)
والمدن الخربة والمقفرة والمنهدمة محصنة معمورة ....
انا الرب تكلمت وسأفعل (حز ٣٦ : ٣٣ — ٣٦)
ويكون في ذلك اليوم ان الجبال تقطر عصيراً
والتلال لبناً وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماءً ومن بيت
الرب يخرج ينبوع ويسقي وادي السنط (يوء ٣ : ١٨)

﴿ آدم قبل السقوط ﴾

وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبلهُ (تك ٢ : ٨) . طوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الابواب الى المدينة لان خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الاوثان وكل من يحب ويصنع كذباً — رؤ ٢٢ : ١٤ و ١٥

اختلف الجيولوجيون وفريق من العلماء الذين بحثوا عن امر الخليقة في تاريخ آدم وقام البعض منهم وانكروا صحة نص التوراة على خلق آدم بدعوى ان البقايا الجيولوجية القديمة تدلّ على ان الانسان ظهر على الارض قبل عهد آدم عائشاً في البراري مع الحيوانات وآويا الكهوف . ونحن لا نتصدّى الان

لايراد ادلة وبراهين على صحة خبر الخليقة لان من
كان مسيحياً حقيقياً لا يشك في صحة عدد واحد من
التوراة كلها لا سيما وان في العهد الجديد اشارات
كافية الى كثير من الاخبار الواردة في العهد القديم
مماً يرفع من عقل الانسان المسيحي ادنى ريب يخامره
من الاطلاع على اراء دارون قائد مذهب النشوء
وغيره من الذين تعمقوا في العلم الى حدٍ ناقضوا عنده
ما ورد في التكوين من امر خلق الانسان . ونحن
نعتقد ان ما كُتِب في العهدين القديم والجديد كتب
بالهام الروح القدس « عالمين هذا اولاً ان كل نبوة
الكتاب ليست من تفسير خاص لانه لم تأت نبوة
قط بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون
مسوقين من الروح القدس — (٢ بط ١ : ٢٠ و٢١) .
وكل ما كتب بالروح القدس فهو عند المسيحي
مقبول على الراس والعين لا يُشَك في صحته . غير

ان الانسان العالمي السائر حسب اهواء العالم واميالهِ والعائش في الخطية لا يستطيع ان يسلّم بما يسلّم بهِ اولاد الله لانهُ يحكم بحسب حكمتهِ العالمية وعقلهِ الملطخ بالشر واما الانسان الروحي الممتلئ بالروح والسائر مع الله بمعزلٍ عن الخطيئة فيحكم في الامور الروحية بكل سهولة و يصدق عن رضىً كل الاخبار التي في التكوين وغيرهِ من اسفار الكتاب المقدس حاسباً الكتاب كلهُ كتحرير مبعوث بهِ من الله اليهِ ليستهدي بهِ في طريقهِ نحو السماء · فاياك ايها الاخ الحبيب ان تصغي الى اقوال الاردياء الذي غرضهم الوقوف في طريق خلاصك ليصدُّوك عن التقدُّم نحو كنعان السموية ولكي تكون شريكاً لهم في شرورهم وآثامهم التي يفعلونها كل يوم امام عيني الله · فانهُ كما يوجد بين الناس دُعَاة الى الصلاح والبر والتقوى ومخافة الله الذين محركهم الوحيد محبتهم للمسيح ولخير

العالم وغرضهم الاصلي عمل ارادة الرب وقوتهم العظمى ما يضعهُ الروح القدس في قلوبهم فكذلك يوجد عدد عظيم من الدعاة الى الشر والفساد الذين محركهم الوحيد ابليس وجنوده وغايتهم المجرَّدة ان يعملوا شهوات ابيهم الكذاب وقوتهم العظمى ما يضعهُ روح ابليس وروح هذا العالم في قلوبهم من الميل الشديد الى عمل الخطية والتعدي وجذب الآخرين الى الحفرة التي هم واقعون فيها · وقد دخل الى بلادنا في الآونة الاخيرة انواع كثيرة من الآراء وتعاليم متنوعة رماها الى بلادنا علماء اوروبا وغيرهم بواسطة الجرائد والكتب فاحترز ايها الانسان المسيحي من ان تسمح لتعليم مخالف للكتاب المقدس بالدخول الى رأسك فان في الانسان غالباً ميلاً الى قبول آراء جديدة كآراء اصحاب مذهب النشوء والطبيعيين من غير بحث ولا نكير وذلك بقصد المباهاة والتحالي بالغريب

فاحترس من الوقوع في اشراك قوم كهولاء بل سلِّم افكارك وعقلك وكل ما فيك الى المسيح تسليماً تاماً واذكر ما قاله بولس «لان فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا اننا في بساطة واخلاص الله لا في حكمة جسدية بل في نعمة الله تصرفنا في العالم ولا سيّما من نحوكم» — ٢ كو ١ : ١٢

وكما يطرح الابن نفسهُ في يدي ابيهِ مطمئنّ البال بدون ان يبحث عماً اذا كان ابوه قادراً على حملهِ وحفظهِ من الضرر كذلك لنطرح نفوسنا في يدي ابينا السموي ببساطة القلب وكمال الثقة متيقنين ان ذلك القادر على كل شيءٍ لا تهمّهُ كثرة العلوم ولا عظم اتساع نطاق الفلسفة بل القلب البسيط الطاهر المُخلِص لهُ . «الاله القديم ملجأ والاذرع الابدية من تحت» (تث ٣٣ : ٢٧) اي ان الاله القديم الايام الازلي ملجأ لنا والاذرع الابدية من تحتنا حتى

لا نسقط · فما احلى ان يكون الانسان الضعيف محمولاً على الاذرع الابدية ·

هكذا كان آدم لما وُضع في الجنة محمولاً على اذرع الله · الحرُّ لا يؤذيهِ في النهار ولا البرد في الليل وان يكن عرياناً · الوحوش تمرُّ امامهُ كالحملان والاسود كالخراف فيربتها بيدهِ كانهُ ملكها · الطيور ترفرف فوق رأسهِ وتتنقَّل من شجرة الى اخرى فرحةً مالئةً الفضاء باغاريدها الحلوة كانها تهنئ الانسان بهذه الحالة السعيدة التي اوجده الله فيها · العشب الاخضر برز لاوَّل مرة زاهياً نضراً لملاقاة الشمس الحاملة حياةً لهُ · نهر كبير دخل عدن بامر الله فشقَّ الارض ليعمل لنفسهِ مجرىً وانقسم الى اربعة انهر تفرقت في الجنة وانسابت بهدوء بين سوق اشجارها حتى بلغ احدها شجرة معرفة الخير والشر فسقاها فازهرت وصنعت ثمراً شهياً · آه لو علمتِ يا مياه

ذلك النهر العظيم ان النقط القليلة التي اودعتِها في
ثمار تلك الشجرة التي في وسط الجنة سوف تكبر
فتؤلف اوقيانوس تتدفق منهُ انهار من الدموع الى
اكثر من ستة الاف سنة لربما كنتِ رققتِ لنا
وحوّلتِ مجراكِ عن تلك الشجرة فيبست ولم تنتج
ثمراً . ولكن شكراً لله « لانهُ هو يجرح ويعصب »
فان اول غلبة من السبع الغلبات المذكورة في بداءة
سفر الرؤيا تقول « من يغلب فساعطيه ان يأكل من
شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله » (رؤ ٢ : ٧)
فان آدم لم يذق طعم شجرة الحياة واماَّ انت ايها المسيحي
فموعود بالاكل منها ان كنت من الغالبين وذلك من
فضل رئيس خلاصنا العظيم الرب يسوع المسيح
فتهلل وافرح .

في هذه الجنةِ الجميلة وُضع آدم ولربما كان
يصرف اوقاتهُ متنقلاً من ظل شجرة واحدة الى ظلّ

اخرى تارةً يصعد الى احدها لياكل من ثمرهـا وتارةً يستلقي على ظهرهِ في فيئها للنوم والراحة · تارةً ينظر الى المياه المترقرقة بين تلك الاشجار والمشابهة قلبهُ في صفائها واخرى الى الحصباء الملساء الجارية عليها هذه المياه – هذا ولا شريك لهُ الاَّ الله لا يرى صورة غير صورتهِ تعالى ولا يتكلم معهُ احدٌ غيرهُ · ومن يقدر ان يتصوَّر ماذا كان موضوع الحديث الذي كانت تدور رحاه بين آدم وبين خالق الكون تحت ظلّ اشجار جنة عدن · وعلى كل حال فاننا نعلم ان هذا الاله القدير مع كل عظمتهِ وجبروتـهِ لا يأنف الآن من التكلُّم مع افراد جنسنا الساقط بل يريد ان نتكلَّم معهُ وهو يطلب منا ايضاً ان نلتفت اليهِ ونتكلَّم معهُ · « التفتوا اليَّ واخلصوا يا جميع اقاصي الارض لاني انا الله وليس آخر » – اش ٢٥ : ٢٢

فطيب قلبك وافرح ايها الاخ الخاطئ المقيَّد بسلاسل الظلمة والمطروح في جب الهلاك وقد ضجرت من حياة الشر وتمنيت التخلص منها ولا تعبأ بكلام ابليس الذي يوسوس اليك قائلاً انك خاطي كبير وليس لك مغفرة . فان الله يدعوك لكي تلتفت اليهِ وتخلص فاترك الخطية وسلِّم نفسك الى المسيح . ودَع الصاحب الذي صحبتهُ تجذبك الى الخطيَّة واقبل الى يسوع . اطرح عنك ثوب الرياء والحسد ومحبة المال واطرح نفسك على اقدام المخلّص . مزّق عن قلبك غشاء الشهوات الشبابية وتعال الى الفادي ليطهر قلبك ويملأه بروح محبتهِ . جرّد راسك من كل الافكار الشريرة واهدم قلعها واستأصل كل آثارها واسرع الى رئيس السلام وولّهِ قيادة افكارك واقم سلامهُ حارساً على باب قلبك فان الرسول بولس يقول « لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة

والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وافكاركم (لاحظ هذا) في المسيح يسوع» في ٤ : ٦ و٧

الاعتزال سبب فرح آدم

كان آدم وحده في الاول مع الله ولذلك انطبعت على قلبه قداسة الله وأثّرت فيه مهابة حضرته. لمّا اراد الله ان يتكلم مع ابرهيم امره ان ينفصل عن اهله ويترك بلاده ويتوجه الى ارض كنعان وهناك في المروج الواقعة بالقرب من بلوطات ممرا بعد ان تخلّص ابرهيم من ابيه تارح الذي مات في حاران ومن ابن اخيه لوط الذي اختار السكن في مدن الدائرة بين الاشرار اخذ الله يظهر له في سكون الليل وخدامه نيام ويتكلم معه. كذلك يعقوب ترك بيت ابيه واخذ يضرب في الارض حتى وصل الى بيت ايل فارتمى على الارض منهوكاً من السير وتوسد

حجراً ونام واذا بهِ يرى سلَّماً ممتدًّا من الارض الى السماء والملائكة تصعد وتنزل عليهِ والله واقف على راس السلَّم . هناك في وسط تلك البرّية تكلَّم الله لاوَّل مرة مع يعقوب الجبان الهارب من وجه اخيهِ .

كذلك « موسى كان يرعى غنم يثرون حميهِ كاهن مديان فساق الغنم الى وراء البرّية وجاء الى جبل الله حوريب وظهر لهُ ملاك الرب بلهيب نار » . قال السائح المستر ستيفنس في وصف جبل حوريب بعد وقوفهِ على قمتهِ ما ترجمتهُ

« انا واقف الان على قمـة جبل سيناء حيث وقف موسى لما تكلَّم مع القدير . أَفي الحلم انا هنا ام في اليقظة ؟ أَمِنَ الممكن ان هذا الحجر الصلد يكون قد شاهد تلك المذاكرة العظيمة التي جرت بين الانسان وخالقهِ في ذلك الصباح الذي بدت تباشيرهُ مصحوبةً بدمدمة الرعد الهائل ووميض البرق من الغيوم

الكثيفة الجاثمة على جبهة الجبل . نعم هذا هو الجبل المقدس وقد كان يتعذَّر وجدان مكان افضل منهُ لتظهر القوة الالهية عليهِ . وقفت مرة على قلَّة جبل اتنا العظيم والقيت نظري على الغيوم السابحة عند سفحهِ وعلى اراضي سيسيليا وجبال كالابريا القائمة في البعد . صعدت الى جبل يزوف وشاهدت امواج المواد الذائبة والمدن المخرَّبة عند اسفلهِ - انما هذه كلها لا تعدُّ شيئاً بالمقابلة مع هيبة سيناء الهائلة وعزلتهِ المفزّعة » .

فعلى راس هذا الجبل نزل الله بعظمتهِ ومجدهِ ودعا موسى اليهِ ليتكلَّم معهُ . هناك في فيْ تلك الجنادل الباسقة والصخور الشاهقــة سجد موسى لله وخاطبهُ مخاطبة الصديق لصديقهِ وسمع صوت جلالهِ الاقدس ورأى مجدهُ . وهناك خرجت من فم الله الكلمات الاتية « الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير

الاحسان والوفاء حافظ الاحسان الى الوف غافر الاثم والمعصية والخطية ولكنه لن يبرئ ابراً »

لا اعلم لماذا يحب الله الجبال فكأنما طبيعته الطاهرة تميل الى العلوّ والسكن في الاماكن المرتفعة النقية الهواء عوضاً عن الاودية والسهول التي هي مهد الجراثيم المضرة . نعم يحق لعظمتك ايها السرمدي ان تختار الجبال مظهراً لبهاء نورك فامنحنا ان نرفض السكن في الاماكن الواطئة الممتلئة من اقذار العالم ونصعد الى التلال العالية تلال الطهارة والبر والفضيلة . انهض ايها الاخ العزيز واخرج من وادي الخطية وادي الظلام والموت وادي الابالسة والارواح الشريرة وادي الاهواء النفسانية والكذب والحسد والطمع وكلام السفاهة والسرقة والغضب والكبرياء والافكار الشريرة ومحبة الذات واصعد الى جبل الله حوريب جبل الصلاة وانكار الذات وهناك

اخلعْ نعل كل هذه الشرور من رجلك واقترب الى القديم الايام يهوه الساكن في نورٍ لا يدنى منه' فتحصل على المغفرة و يرقص قلبك فرحاً وابتهاجاً وشكراً لمخلصك الحبيب يسوع الذي اشترى لك بدمهِ خلاصاً هذا مقداره' . يأخذني العجب مراراً عند ما ارى فريقاً كبيراً من اخوتي شبان سوريا المفتخرين بحدَّة عقولهم وعظم فهمهم وبعد نظرهم يغفلون خلاصاً عجيباً ثميناً كخلاصنا هذا . تمرّ عليهم الايام والسنون وهم لاهون عن طلب الله وتسليم نفوسهم الى المسيح بسعيهم وراء ملذات هذا العالم الفاني وانغماسهم في ابحر الشهوات الشبابيـة وتهافتهم على القهاوي والحانات واشتغال انظارهم بمراقبة فلان وفلانة وليس يعلمون انه' في ساعة لا ينتظرونها يأتي يسوع ابن الانسان مع قديسيهِ في مجدٍ عظيم فماذا يفعلون . « هـا زوبعة الرب غيظ يخرج ونوء هائج على رؤوس الاشرار يثور

لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبهِ في اخر الايام تفهمون فهماً» (ار ٢٣ : ١٩) . فتأمل يا غافل وعسى ان يحرّك الله قلبك فتقبل الى يسوع

كذلك ايليا هرب الى جبل حوريب من وجه ايزابل ودخل هناك مغارةً مظلمة واضطجع لينام فناداه الله قائلاً «ما لك ههنا يا ايليا» . لا اعلم كيف تجرأ ايليا الخائف ان يدنو من هذا الجبل المقدس وحدهُ وربما كان يضرب قلبهُ ضربات الخوف والرعب عند ما اخذ يصعد فيهِ ولا سيما عند تذكرهِ المشاهد الهائلة التي حدثت على راس هذا الجبل على ايام موسى ومراجعتهِ حوادث حياتهِ الماضية واصغائهِ الى صوت ضميرهِ الذي كان يبكتهُ على جبانتهِ وهربهِ من وجه امرأة . نعم هيّنٌ على اولاد الله الحقيقيين ان يدنوا من الله تعالى ما زال الجو صافياً

بينهم وبينه، واما الخاطي وان يكن قلبه، قاسياً كالصخر فلا بدَّ من ان يرجف عند اقترابهِ من مغارة جبل حوريب · لا تدخل يا اخي مغارة ايليا حيث الخفافيش (الوطاويط) والفراش الاسود وكل انواع الهوام والحشرات الصغيرة وحيث الظلمة ضاربة اطنابها بل اصعد رأساً ماسكاً يد فاديك الحبيب يسوع الى راس الجبل وتصالح مع الله · يا الفرح تلك النفس التائبة التي بعد ان تكون قد خبطت على غير هداية صحراء العذاب والآلام اربعين يوماً وعانت الحر في النهار والبرد في الليل وتكبّدت مشاق واهوال ومصارعات في جهادها لتنجو من قبضة ابليس وتفرَّ من امام اهواء الجسد وتتحرَّر من عبودية عادة سيئة في الجسد تصل اخيراً وحدها الى جبل الله فتغتسل من اقذارها في ينبوع الدم الجاري من سفح ذلك الجبل ثم تصعد مع المسيح بسكوت شامل حتى

تصل الى رأسه فتسجد لله وتمتلئ بالروح القدس فيقع عليها نور سماوي ينسيها العالم باسره فتحقق حينئذٍ ان آلام الزمن الحاضر لا تقابل بذلك المجد . هنيئاً لكِ ايتها النفس التي نبذت شرور العالم وراءكِ وصعدتِ الى جبل الله لتعيشي مع خالقكِ العظيم . امواج هذا الدهر لا تستطيع ان تصيبك ولا رياحهُ ان تزحزحك ولا زوابعهُ ان تقلقلك لان صخر الدهور ملجأُكِ والعليّ حصنك ورأسك في شعاع نور دائم . لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا عري ولا جوع ولا خطر ولا سيف ولا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا امور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة اخرى تقدر ان تفصلكِ عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربكِ . « ترنمي ايتها السموات لان الرب قد فعل اهتفي يا اسافل الارض اشيدي ايتها الجبال ترنمًا الوعر وكل شجرة فيهِ » .

الى رأس هذا الجبل انت مدعوٌّ ايها الاخ العزيز الى السلام الذي كان فيه آدم والشركة مع الله التي حصل عليها تلاميذ المسيح باتباعهم اياه واخيراً الى عرس الخروف الذي تكلم عنهُ يوحنا في سفر الرؤيا فهل انت عازم على ان ترفض هذه الدعوة او عاقد ضميرك من دون تردُّد على ان تقبلها · عيشة ساعة مع المسيح خير من عيشة الف سنة مع الشيطان · لذة ساعة مع المسيح افضل من لذة مليون سنة مع الشيطان ولو كانت لي كل ملذات العالم

كذلك لما اراد الله ان يتكلَّم مع بولس ويعلن لهُ مشيئتهُ ارسله الى العربية حيث صرف ثلاث سنين وهناك كشف لهُ سرّ الانجيل العجيب الذي بشر به بعد ذلك

وهكذا من آدم الى يوحنا كاتب سفر الرؤيا نرى الله يفرز مختارهُ من غمار الناس ويبعثهُ الى جبل

او مكان منفرد ويخاطبهُ هناك وحدهُ فيمثل لهُ صورة خطاياه القبيحة ويحثهُ على طلب الغفران ويشجعهُ على الثبات في الحق ويقويه على ملاقاة المصاعب . فاذا كنت ايها القارئ العزيز ترغب في الحصول على حالة آدم السعيدة من الشركة مع الله وسماع صوتهِ والتمتع بسلامهِ الروحي وعلى فرح داود ونجاحهِ وحكمة سليمان وفطنتهِ وغيرة بولس واكليلهِ (٢ تي ٤ : ٨) ومحبة يوحنا وسلامة قلبهِ فتب حالاً عن خطاياك واقبل عطية الروح القدس . اعتزل عن العشراء والرفقاء الذين رفقتهم تقودك الى الشر والكلام القبيح وانفرد في زاوية مخدعك وصلِّ الى ابيك الذي في الخفاء فابوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية

فاجمل شيء في حالة آدم الاول الفردوسية الانفراد مع الله . فهو من اعظم مقويات الحياة المسيحية لانهُ يقوّي الروح وينشطها ويضعف اميال

الجسد وبيتها « اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسُّوا نجساً اخرجوا من وسطها تطهَّروا يا حاملي آنية الرب . (اش ٥٢ : ١١) . « لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسُّوا نجساً فاقبلكم واكون لكم اباً وانتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء » (٢ كو ٦ : ١٧ و ١٨)

لم يكن لآدم سوى مركزٍ من اثنين اماً في الجنة في حضرة الله مغموراً بالفرح والسعادة ومتهللاً وجههُ برؤية خالقهِ لا يعرف سوى الطهارة والقداسة ولا يدرك من ظلام العقل وهمومهِ شيئاً واما خارج الجنة في هذه الارض التي نزلت لعنة القدير عليها يعمهُ في سبل الظلام ويحصّل قوتهُ بعرق جبينهِ . اماً صديق الله كابرهيم الخليل (يع ٢ : ٢٣) او عبد للشيطان كآخاب ويهوذا الاسخريوطي . اماً قلبهُ فرح طاهر مثل قلب الله كقلب داود النبي واما قلبهُ

حزين منسحق كقلب هذا النبي بعد سقوطهِ . اما بجانب ينبوع ماء الحياة الخارج من عرش الله والخروف الذي مياههُ صافية كالبلور (رو ٢٢ : ١) واما في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب (رو ٢٠ : ١٠) . قال يسوع « من ليس معي فهو عليَّ ومن لا يجمع معي فهو يفرّق » . هذا هو كلام السيد لي ولك ايها الاخ الحبيب . فقد ضممت نفسك الى كنيسة الله واعتمدت وتناولت العشاء الرباني واشتريت نسخة من الكتاب المقدس ووضعتها على الطاولة في بيتك واخذت تقرأ فيها يومياً او كل جمعة مرّة وصرت تواظب على الذهاب الى الكنيسة نهار الاحد صباحاً لسماع الوعظ فحسناً تفعل ولكن — ولكن أتستطيع ايها الحبيب ان تعترف الان من كل قلبك امام العرش بانك مع المسيح لا عليهِ بانك تجمع مع المسيح ولست تفرّق هل ترى نفسك داخل

الجنة بعيداً عن كل الخطايا الفعلية التي كان جسدك عبداً لها وضمن دائرة رحمة الله وعنايته لا تصغي الاَّ الى صوت المسيح ولا تهتز طرباً الاَّ عند سماعك صوت اقتراب خطواته ام هل ترى نفسك خجلان من الله وبينك وبينه غيمة سوداء من الخطايا الفعلية المدركة التي انت باقٍ مستعبداً لها والله يدعوك لتخرج منها وانت تهدّئ صوت ضميرك بالقول الدارج «الله رحوم · الانسان كله خطية · جبلي انسان مسيحي بالحق تاتعلَّم منهُ واقتدي بهِ · الانسان ما يقدر يعيش وحده في العالم · الانسان لازم يساير العالم · لو كانت شغلتك مثل شغلتي كنت بتشوف» · فاسمع ايها الحبيب كيف ان ابليس قد رتَّب جواباً او عذراً لكل خاطي

للسكير يقول — مكتوب في التوراة قليل من الخمر يفرّح قلب الانسان فاذا كنت مغتماً كئيباً

وقد ثقلت على قلبك الاحزان والهموم فاشرب قليلاً من العرق تنقشع عنك غيوم الاكدار وتنسَ اساءة قريبك اليك ألا ترى ان فلان الفلاني المتقدم في الهيئة الاجتماعية يشرب كاساً او كاسين من العرق كل مساء قبل الاكل فهذا لا يعدّ سكراً فضلاً عن ان بعض الاطباء تصفهُ كدواء لسوء الهضم وهلمَّ جرًّا من الاعذار التي مهر عدو الانسانية في استعمالها كيف لا وقد صار لهُ اكثر من ستة آلاف سنة يسعى في تدبير الحيل واختبار الطرق التي تجرّ الانسان الى الخطيَّة بسهولة من غير ان يعلم فلا يعي على حالهِ الاَّ وقد اصبح عبداً ذليلاً لعادة سيئة ٠ اه

كم من الويلات نزلت على الجنس البشري بواسطة هذا المسكر القتَّال وكم من عائلة تشتَّت اعضاوءها لوقوع اكثرهم غنيمة باردة في يد هذا الظالم٠ فاحذر ايها المسيحي من ان تدخل هذا العدوّ الى بيتك فان

العالم في الوقت الحاضر يئنّ من جور المسكر والوف الالوف تهلك كل عام من شر هذا القاتل . اطلب اليك يا اخي بمحبة المسيح ان لا تجعل كاساً واحدة من العرق او من سائر المسكرات تدنو من فمك واعلم انك كلما شربت كاساً تجرح قلب المسيح

ولصاحب الطبع الردي المعرَّض للغضب يقول

لا يقدر الانسان على اخضاع طبعهِ وخصوصاً انت فان الله وضع فيك هذا الطبع من الاول ويستحيل عليك قهره ُ ولا احد يقدر ان يغلب على طبعهِ الاَّ الذي بلا احساس بارد الدم واماَّ انت فحاشا ان تكون هكذا وفضلاً عن ذلك فان بولس يقول « اغضبوا ولا تخطئوا » والمسيح نفسهُ غضب وهلمَّ جرًّا من الاعذار الكاذبة التي يفرشها المجرِّب للانسان لكي يجوّز لهُ الغضب والطبع الرديء . فاتوسَّل اليك ايها الحبيب برأفــة الله ان تجيب عن

الاسئلة الآتية بضمير صالح « أالغضب افضل ام اللطف » « أالطبع الردي احسن ام الرفق واللين » « أالقساوة اجمل ام المحبة » « أكلام الرقة افضل ام كلام الخشونة » أما قال بولس في كو ٣ : ٨ اطرحوا عنكم انتم ايضاً الكل الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من افواهكم » . اما قيل ايضاً « غضب الانسان لا يصنع برّ الله » . لا شك في انك تجاوب ان المحبة « لا تحتدّ » . فالغضب يا اخي يحطّ من قدر المسيحي في عين الله والناس ويكون في غالب الاحيان من اكبر العثرات في طريق الغير الآتين الى المسيح عن يدك . فاذا كنت عبداً للطبع الردي فاعلم ان في المسيح خلاص منهُ . فلنطرح عنا الغضب لاننا كلنا جبلة بشرية تحت الخطية فلا يجوز لنا ان نغضب على اخوتنا بل يجب ان نعامل بعضنا بعضاً بالمحبة كما يعاملنا المسيح . فاني

متيقن انهُ لو كان بطرس خادماً في هذه الايام عند احد المسيحيين وانكر سيدهُ ثلاث مرات او فعل شيئاً آخر ضدهُ لقام سيدهُ وقعد وضربهُ ضرباً اليماً · آه ما اجملك ايها المسيح وما اعظم محبتك لنا · فانهُ نظر الى بطرس نظرة حزينة فقط كانت كافية لان تجعل بطرس يبكي بكاءً مرًّا ولم يفهِ هذا المخلّص الوديع بكلمة توبيخ لهُ حتى صادفهُ بعد قيامته على الشاطئ فوبخهُ حينئذٍ بالعبارة الرقيقة «يا سمعان بن يونا اتحبني اكثر من هولاء» واعادها ثلاث مرات بقدر عدد المرات التي انكرهُ بطرس فيها

ولمحب المال يقول

لا يستطيع الانسان ان يعيش في العالم بدون دراهم فاقعد في بيتك واترك الشغل تمُتْ من الجوع ولا احد يطعمك رغيف خبز· هذا فضلاً عن أنَّ المال قوة والذي لا اموال لهُ فهو لا شيءٌ في العالم الخ ·

فاسمع يا اخي ما يقول المسيح « لا تقدرون ان تخدموا سيدين الله والمال » وما يقول بولس واماً الذين يريدون ان يكونوا اغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبيَّة ومضرَّة تغرِّق الناس في العطب والهلاك لان محبة المال اصل لكل الشرور » · نعم ان المال قوَّة وعلى الانسان ان يشتغل ليحصّل معيشته ويساعد المعوزين انما محبة الدراهم شيء آخر · الاهتمام بالله شيء والاهتمام بالاموال والعالم شيء آخر · فان بلادنا تحتاج الى شبان اقوياء يكون همهم الوحيد نشر بشرى الخلاص واذاعة انجيل المخلِّص والعيشة كما يحق لانجيل المسيح · « اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرَّه وهذه كلها تزاد لكم » ·

وهكذا لباقي الخطاة فان في جعبة ابليس رئيس هذا العالم اعذار كثيرة يبسطها لكل واحد عند الاقتضاء ولكن شكراً لله ان يسوع جاء الى العالم

لينقض اعمال ابليس ويدك كل حصونه ويبطل كل
اعذاره فهلمَّ ايها القارئ العزيز الى هذا المخلِّص
لنطرح عند قدميه كل اثقال الخطية والشر واهتمام
العالم فان اشياء زهيدة كشرب المسكرات وكلام الهزل
تصيرنا على المخلِّص لا معه . فلو وعظنا بألسنة
الملائكة ثم خرجنا الى ما بين الناس وشرعنا نهزأ بهذا
ونعيِّر ذاك لأزلنا من قلوب الذين سمعوا وعظنا كل
ما علق بها من الفوائد . ألا تشتاق ايها الاخ ان
تكون مثل آدم لما كان في الجنة لك شركة مع الله
ومملوء بسلامه المقدس فاطرح عنك الحسد والغضب
ومحبة المال واقبل الى نازع الاحمال فيملأك من جوده
ونعمه ولطفه وصلاحه ومحبته . في آدم الاول كان
لنا جنة ارضية واما في آدم الثاني الذي هو المسيح
فلنا جنة سماوية ومركز اعلى من الملائكة . «من
يغلب فساعطيه ان يجلس معي في عرشي كما غلبت

انا وجلست مع ابي في عرشهِ» . فتهلَّل ايها الاخ المسيحي وافرح . هلِلويا

تجربة آدم وسقوطه

فرأَت المرأَة ان الشجرة جيدة للاكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر فأَخذت من ثمرها واكلت واعطت رجُلَها ايضاً معها فاكل — تك ٣ : ٦

لا يقل احد اذا جرِّب اني أُجرَّب من قبل الله لان الله غير مجرَّب بالشرور وهو لا يجرب احداً ولكن كل واحد يجرَّب اذا انجذب وانخدع من شهوتهِ ثم الشهوة اذا حبلت تلد خطيةً والخطية اذا كملت تُنتج موتاً لا تضلُّوا يا اخوتي الاحباء — يع ١ : ١٣ — ١٦

منذ عهد بعيد اقيم تمثال في احدى المدن اليونانية على قارعة الطريق ولتعاقب السنين والاجيال عليهِ ذهب عن الوجود وبقي من اثرهِ مكالمة لطيفة كانت منقوشة على مقدمهِ يفهم منها انها جرت بين التمثال وواحد من المارّين بهِ · ولا يعسر على قارئ هذه المكالمة ادراك المثالة التي قصد حكماء اليونان المتقدمين تعليمها لكلّ من مرّ بذلك المكان · وهي

ما هو اسمك ايها التمثال

اسمي فرصة

وما غرضك من وقوفك على رؤوس اصابع رجليك

لأُظهر اني واقف لحظةً فقط

ولِمَ هذان الجناحان على ساقيك

لأُظهر عظم سرعتي في السير

ولِمَ هذا الشعر الطويل على جبهتك

ليسكني بهِ الانسان عند مـا يلقاني مواجهةً
ولماذا مؤخر رأسك خالٍ من الشعر
لأُظهر اني اذا افلتُّ مرةً صار مسكي من المحال
فيا ايها السائح نحو الابديَّة في وعر هذا العالم المملوء
من الارواح الشريرة العاملة تحت قيـادة ابليس
الرجيم « رئيس سلطان الهواء » أجلستَ مرة منفرداً
على راس اكمة او جبل في ليل مظلم واخذت تتطلَّع
الى السماء العميقة المرصعة بالنجوم التي هي كالسرج
المعلقة في مدخل مغارة مظلمـة جداً لتخفِّف حدة
الظلمة التي في الداخل وتأملت وفكَّرت ملياً في
بداءة هذا العالم وكيفية تكوينهِ وكيف ظهر الى
الوجود بكلمة ذلك العظيم الساكن وراء النجوم الذي
السماء وسماء السماء لا تسعهُ ثم حولت افكارك الى
هيئة العالم الحاضرة والى ما في ساحة جهادهِ من
الاندفاع نحو حطام الدنيـا وجمع المال واكتساب

القاب الشرف ونيل المقامات الرفيعة والى ما في ساحة شروره من العهر والدعارة وارتكاب المحرمات والزنى والحسد والقتل والطمع واللعن والخصام ولاحظت كيف ان هذا العالم بما فيه من الجلبة والضوضاء جارٍ بسرعة على قطار الابدية الى محطة الدينونة ثم رميت بنظرك الى المستقبل وركزته دقيقةً على المجد المنتظر اولاد الله وراء نهر الموت عند ما يخلعون هذا الجسد جسد الخطية والفناء ويلبسون الجسد الروحاني جسد المجد والخلود (وذلك في القيامة الاولى) كما يخلع زيز دودة الحرير قشرتهُ الحمراء ويظهر فراشةً بيضاء لطيفة تطير في الهواء – أجلست مرةً تفكر في كل هذا ولم تقل لنفسك ان حياتي في هذا العالم هي فرصة اعطاني اياها الله لاتمم خلاصي فيها فكيف يجب ان اصرفها وان افلتت هذه الفرصة مرةً فرّت مني ولم اعد استطيع ان امسكها فيحتم عليَّ بالهلاك

الابدي . ثم اذ نويت على ترك محبة العالم والخطية وقصدت اتباع المسيح شعرت بحلول شعاع من الفرح السموي في قلبك . ومن خلف هذا الشعاع سمعت صوتاً خفيفاً يقول لك « لا لا اياك ان تتبع المسيح لئلاَّ تخسر العالم وافراحهُ وتصير ناسكاً » . فهذا هو صوت المجرِّب الذي سنتكلم عن طريقة اتيانهِ الى حوَّاء وكيفية سقوطها في حبائلهِ واسقاطها آدم معها . وعلى ما يقال ان هذا المجرّب كان ملاكاً طاهراً فسوَّلت لهُ نفسهُ ان يغتصب مركز الله فطُرح من السماء فنزل الى الارض وشرع يعمل ضدَّ الله وسيبقى على هذه الحالة الى وقت القيامة الثانية حين يُطرح هو واولادهُ في بحيرة النار المتقدة حيث تكون نهايته (رو، ٢٠ : ١٠)

اعطى الله آدم فرصةً لو غلب فيها على المجرّب لَرفع راية النصر والغلبة ومشى في مقدَّم الجنس

البشري طاهراً مقدساً ظافراً لا حيوان ينازعهُ البقاء ولا امراض تكدّر صفو عيشهِ ولا احزان تعكّر كاس فرحهِ وسرورهِ ولا موت يخطف من حضنهِ اعزّ ابنائهِ فابى المجرّب الآن يهبط آدم من حال السعادة التي كان فيها ويلفّهُ برداء المشقّة والظلمة الذي كان هو ملتفاً بهِ · ولذلك من يوم برز آدم في جنة عدن رافلاً في برد النعيم والهناء شرع الشيطان يعمل الحيلة وينعم الفكرة في امر تجربتهِ · فكما ان هذا المجرّب الحسود لم يطق قبلاً ان يرى القديم الايام جالساً على كرسي مجدهِ في السماويات كذلك الان ساءهُ ان يرى آدم متمتعاً بسلام لا نظير لهُ وحاصلاً على فرح لا ينطق بهِ ومتحرّراً من الموت فاخذ حالاً يسعى في اسقاطهِ عملاً بمطالب نار الحسد والغضب التي كانت تلتهب في صدرهِ · وهذا الروح نفسهُ يعمل الآن في ابناء المعصية اولاد ابليس السائرين

حسب شهوات نفوسهم فتراهم اسرى الحسد والطمع والربح القبيح يبذلون جهدهم في اسقاط رفقائهم اذا وجدوا أن هؤلاء تقدموا اكثر منهم في مهنة او صناعة وحازوا الاسبقية عليهم في مناظرة او وظيفة. وهذا الروح ليس من الله لانهُ ربٌّ حكيم عادل وليس عنده محاباة بل يريد ان الجميع يعيشون كاخوة محبين بعضهم بعضاً ومصافين بعضهم بعضاً لا يحسد احد منهم الاخر ولا يطمع في ما لاخيهِ. فاجتنب يا من تسمّي باسم المسيح روح الحسد والكذب الذي حرَّك الحية في جنة عدن على الاقتراب من حوَّاء لاغوائها. فان تلك الحية نفسها تزحف الان من مكان الى اخر على وجه هذه الارض وفي انيابها ذات السم الذي انزلت منهُ في جسم الانسانية في الجنة وهي حنِقة على الانسان اكثر من الاول. فاياك ايها المسيحي ان تفتح لها باباً لتنفث منهُ السمَّ الى صدرك

ترافقت مرة انا ومبشر الى الكنيسة فبعد ان سلمت عليهِ وسلّم عليّ شرع يتلو الخطاب الآتي بجدةٍ وغيرةٍ :

« ان القس فلان الفلاني المشهور في سوريا بمقدرتهِ على التبشير والوعظ والمعتمد عليهِ في ادارة شؤون الديانة المسيحية فيها والذي يُنزل على حكمهِ في حل كل مشكل ومعضل عائش كملك عظيم في بيت يشبه قصراً وعنده خدم وحشم لا يبالي بالفقير ولا يحنّ عليهِ · يقضي ايام الاسبوع في بيتهِ الملوكي بعيداً عن الناس بين المآكل الفاخرة والرياش الثمينة · ومتى جاء يوم الاحد يخرج الى الكنيسة فيتلو موعظة بليغة ثم يعود الى قصرهِ الى الحال التي كان عليها ايام الاسبوع »

فلمّا انهى خطابهُ وقد كان ينتظر مني معيناً على الطعن في حق اخينا المسيحي تفرست في وجههِ وقلت

له « أمنافع هذا الانسان الذي نتكلم عنه اكثر في سوريا ام مضاره » فقال « منافعه اكثر » فقلت له « أنفعت سوريا انت اكثر منه » فاجاب « لا — لكن — لكن الظروف » . فتأمل ايها القارئ . هذه هي الدودة الخبيثة التي تأكل احشاءنا نحن السوريين . ندعي اننا مسيحيون وأن لنا المسيح ثم نخضع لروح الحسد الشنيع فنجلس على كراسي الكسل والرجل الواحدة فوق الاخرى ونأخذ نندد باخوتنا المسيحيين وخصوصاً بالمبشرين الاجانب ناسبين اليهم محبة المال والطمع والكبرياء وجاحدين ما لهم من الجميل وغير شاكرين لهم على معروفهم فقد يصح في اكثرنا المثل العربي « شربنا من البئر ورمينا فيه حجراً » . فان لم يكن من المبشرين الاجانب سوى تعليمنا العلوم وفتح مدارس في قرى لبنان لتنوير الاحداث وتهذيب عقولهم وازالة القناع عن حقائق الكتاب المقدس

وكسر نير التعاليم الفاسدة والخرافات الذي كنا نئن تحته' لاجيال فَحَسْبُهم نخاراً وما احرانا بتقديم الشكر لهم واماً ما نتوق اليهِ من الشغل المسيحي الحقيقي في بلادنا فلا يقوم بهِ الاَّ رجال سوريون اشداء ممتلئون بالروح القدس تركوا كل اهتمامات العالم وتبعوا المسيح نظروا الى حسنات المبشرين الاجانب وطووا كشحاً على سيئاتهم طردوا عنهم روح الحسد وامتلأُوا بروح المسيحِ رفضوا الاهتمام بذواتهم واخذوا يهتمون بخلاص الاخرين انقطعوا عن الالتفات الى العالم والتفتوا الى المسيح ابطلوا الوعظ من اجل الرواتب وشرعوا يعظون من اجل المسيح وبالجملة طرحوا عنهم كل خطية وكل حسد وطمع وكبرياء ورموا بنفوسهم على اقدام المسيح لينهضهم ويطهرهم ويملأْهم بروحهِ القدوس روح القوة والحكمة ويرسلهم للعمل في العالم

فهيّاً هيّاً ايها الشبان السوريون فان النهضة

الدينية التي تتوقعونها في سوريا لا تقوم الاَّ بنا فها ان صوت المسيح يرنُّ من وراء السحاب قائلاً « ها انا آتي سريعاً واجرتي معي لاجازي كل واحد كما يكون عمله » (رؤ ٢٢ : ١٢) فكل يوم يفوت لا ينتظر رجوعه والوف من النفوس واقفة بجانب البئر تلهب عطشاً منتظرة قدومكم لتدحرجوا الحجر عن فم البئر بذراع قوية وتسقوا لها ماء لتطفئ نار غليلها . لماذا ندع المجرب الخادع يرمي الى قلوبنا قذائف الحسد فتنفجر فيها وتمزّق احشاءنا تمزيقاً وتصيرنا غير مثمرين لله . ان كنا للمسيح فلسنا من العالم وروح المسيح يسكن فينا . على ما اظن ان الحسد هو الذي انزل الشيطان من مركزه الاول كملاك نور وهو الذي حمله ايضاً على تجربة حواء فتأمل .

قلنا سابقاً ان الله وضع آدم في جنة عدن وفوّض اليه مسألة تدبيرها ثم امر الله جميع الحيوانات

ان تمرَّ من امام آدم ليدعوها باسماء وكل ما دعا بهِ آدم ذات نفس حية فهو اسمها · ومن العجيب ان الرب الاله خلق الحيوانات ازواجاً واما الانسان فخلقهُ فرداً ولم يخلق لهُ معيناً نظيرهُ الاَّ بعد ان جعل سبحانهُ جميع الحيوانات تمرّ من امامهِ وكل واحد منها مع رفيق حياتهِ فاشتهى آدم ان يكون لهُ هو ايضاً رفيقاً يعينهُ · حينئذٍ اوقع الله عليهِ سباتاً واخذ ضلعاً من اضلاعهِ وعملها امرأةً واتى بها اليهِ · فسرَّ آدم بها وحسب نفسهُ اسعد من الاول واخذ يتمشى معها بين اشجار الجنة وطير الفرح والسعادة يرفرف فوق رأسيهما وبلبل السرور يصدح تهنئةً لهما وكانا يأكلان من اثمار اشجار لم يتعبا في غرسها ويشربان من مياهٍ صافية تتلألأ على حصباء كالفضة وينامان تحت الاشجار بلا غطاء آمنين من كل حادث لان عين القدير كانت تراقبهما ليلاً ونهاراً · فيا لها من

حياة سعيدة ٠

ولمّا رأى الشيطان ما عليهِ آدم وحوّاء من الهناآء والمسرّة عزَم على تكدير صفاء حياتهما ٠ وقد كان الله امر آدم ان لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر وان اكل منها فموتاً يموت ٠ فحافظ آدم على وصية الرب كل المدة التي عاشها وحده بدون هذا المعين الجديد ويحتمل ان الشيطان حاول ايقاع آدم في التعدي قبل ان ظهرت حوّاء فلم ينجح ثم بعد ظهور حوّاء لاحظ الشيطان ولع آدم وكلفهُ بها واذعانهُ لها في كل شيءٍ فحوّل كل قوتهِ الى تجربتها وايقاعها اولاً في هوة الخطيئة ٠ اليس بنظير هذا ما يحدث في كل عصر ٠ ألم يقع شمشون الجبار في يدي دليلة فتملقتهُ وعرفت سر قوّتهِ اذ كشف لها كل قلبهِ فانامتهُ على ركبتيها ودعت رجلاً وحلقت سبع خصل رأسهِ وابتدأت باذلالهِ وفارقتهُ قوّتهُ ٠ مسكين

شمشون . اعطاه الرب قوّة غريبة اشدّ من قوة
الاسود ووضع فيهِ روحاً سموياً لا مشابهة بينهُ وبين
روح البشر فمضى وانطرح امام امرأة شريرة وكشف
لها ما في قلبهِ من الاسرار الالهيّة . يا للخجل .
ألاحظت ايها المسيحي العزيز ان الفلسطينيين لم
يتجاسروا على ان يذهبوا بانفسهم الى شمشون ويسألوه
عن سرّ قوتهِ بل وقعوا الى المرأة المتسلطة على قلبهِ
فخدعت مَن احبها وباحت بالسر الذي اخبرها بهِ
عن جهالة وعدم روية . كذلك يوآب لما اراد شيئاً
من الملك داود ارسل اليهِ امرأةً . وآخاب ملك
اسرائيل اتخذ ايزابل الوثنية لهُ امرأةً فامالت قلبهُ
عن الرب ثم لما اراد ان يضمّ كرم نابوت اليزرعيلي
الى املاكه بعثت هذه الشريرة برسالة الى اهل
يزرعيل فقتلوا نابوت وآخاب نائم لا يعلم بشيءٍ من
ذلك . فاحترس ايها الاخ السوري من ان يرق قلبك

لتوسلات هذا الجنس اللطيف ودموعهِ وتسهو عن الالتفات الى المخلِّص فان المجرّب لا يناصبك القتال دائماً مواجهةً بل يختار أهين الطرق واقربها لاسقاطك · هذا ولا ينكر ان قسماً كبيراً من النساء الشريفات هنَّ عماد للفضيلة والتقوى في هذه الايام لان المسيح مات من اجل المرأة والرجل معاً فكل امرأةٍ امتلأت بالروح القدس هي مسئولة عن نفوس الآخرين مثل الرجل · وكم من امرأة فاضلة هي زينة الناحية المقيمة فيها وقد كان الرسول بولس يمدح عمل كثيرات من النساء المسيحيات · ويقال ان المرأة ليس في حياتها درجة متوسطة فاذا سلّمت نفسها الى المسيح وتسربلت بسربال البر والتقوى حاولت بكل قوّتها ان تجذب الذين حولها الى الدرجة العالية التي ارتقت هي اليها واماً اذا انحرفت الى الشر ففي الغالب يقذفها تيارهُ الى امدٍ بعيد عن شاطىء

الفضيلة · فبلادنا في حاجة ماسة الى شابات فاضلات نقيات يرفعن اخواتهن من وهدة الجهل الى معرفة المسيح ومحبته ·

خرجت حواء ذات يوم تتمشى وحدها بين اشجار الجنة وتقطف بعض اثمارها الشهية وتصغي مسرورة الى زقزقة العصافير على الاغصان المرتفعة في الهواء لاستقبال شمس الصباح والى خرير الماء في مجاريه الجديدة فاستغنم الشيطان فرصة انفرادها واتى اليها في صورة حية · فأخذت الحية تحدث حواء عن حسن تلك الجنة التي وضعها الله فيها وعن طيبة ثمارها ثم تقدمتا كلتاهما الى شجرة معرفة الخير والشر فلما وقعت عين الحية عليها دنت من حواء وشرعت تسألها بلحن المحبة عن تلك الشجرة الجميلة الثمر مظهرة اهتماماً كلياً بكل احوالها كانها اعز صديقة لها ولزوجها وربما جرى بينهما الحديث الآتي

الحية ــ انظري ياحوّاء ما اجمل ثمر هذه الشجرة التي امامنا فهنيئاً لك لانك تأكلين منها وبالحقيقة ان لون ثمرها لا يقابل بتةً بلذيذ طعمهِ فانا اكلت منهُ مراراً كثيرة فانستني حلاوة طعمهِ طعم سائر اثمار الجنة فاني لم اذق في حياتي مثل ثمر هذه الشجرة وعجب من هذا كله اني لما اكلت منهُ انفتحت عيناي وحلّت عليَّ معرفة جديدة لم يسبق لي قبل ذلك علمٌ بها فصرت اميّز الخير من الشرّ

حوّاء ــ ربما قولك صحيح ولكن الله اوصانا ان لا نأكل منها وان اكلنا فموتاً نموت

الحية ــ آه اذاً ما نظرتِ شيئاً من الدنيا بعد ولا عرفتِ لذتها فاني كنت احسبك سعيدة واما الان فانا اسعد منكِ فان المعرفة التي عندي لا المام لكِ بها وفضلاً عن ذلك فان الله عارف انكِ يوم تأكلين من ثمر هذه الشجرة تصيرين مثلهُ عارفة الخير والشر ولهذا

منعكِ عن اكلهِ لتبقى هذه المعرفة لهُ هو وحدهُ .
انما من حيث انهُ خالقك فلا يليق بكِ ان تخالفي امرهُ
ولكن — ولكن بالحقيقة طعمهُ لذيذ جدًّا .

حوَّاء — يصعب عليَّ مخالفة امر الهي ولكن أَلا تظنين انهُ يوجد بين كل هذه الاشجار شجرة ثمرها يشابه ثمر هذه الشجرة لونًا وطعمًا فآكل منها وانجو من التعدي على وصية خالقي لاني اخاف انهُ يتمم قوله فيَّ اذا اغظتهُ ويميتني .

الحية — ها ها انت حديثة السن ولا تعلمين ان الله رحوم فان الرحمة من اول صفاتهِ تعالى وانا اعرفهُ اكثر منك وصار عمري سنين كثيرة واختبرت الله تمامًا فلو اردت انا ان اتوب وارجع اليهِ لقبلني لانهُ رحيم وابو الرحمة ولولا رحمتهُ ومحبتهُ ما وضعكما في جنة جميلة كهذه

حوَّاء — انا خائفة اني اذا اكلت من ثمر هذه

الشجرة اخسر القداسة التي انا فيها وهذه الحلة البهية من الطهارة التي انا متشحة بها · اوافقك ان الله رحيم انما اعلم انهُ عادل لا يبرئ البتة

الحية ــ لماذا انت جاهلة بهذا المقدار · انك لا تخسرين شيئاً بل تضيفين الى قداستك معرفةً · هذا فضلاً عن انك اذا لم تأكلي الان منها فربما لا تعود تثمر مرة اخرى او تيبس فتخسرين الاكل منها الى الابد وعلى كل حال فاعملي ما ترينهُ موافقاً لكِ ولكن اقول لك الصدق اني لو كنت مكانك ما تأخرت دقيقةً عن الاكل من ثمر هذه الشجرة حتى ولو كان ذلك يسبب لي ضرراً (لا سمح الله) لان المثل الدارج يقول «يضرّ ولا يفوت»

حوّاء ــ ربما لا يطاوعني زوجي على الاكل منها فاموت وحدي

الحية ــ اسمعي ما اقول لك اسم هذه الشجرة

« معرفة الخير والشر » فحينما تأكلين منها تحلُّ عليكِ معرفة جديدة وحكمة فائقة فتصيرين قادرة على اغواء آدم فيأكل هو ايضاً . ولكن لا يجب ان تخافي من الموت . وانا متيقنة انهُ حينما يرى آدم المعرفة التي حصلتِ انت عليها باكلك من ثمر هذه الشجرة يركض هو نفسهُ اليها ويأكل منها . فلا تخافي . مدّي يدكِ واقطفي واحدة فقط وذوقيها . فانكِ حالاً تصيرين كالله عارفة الخير والشر

فالتفتت حينئذٍ حوَّاء الى الشجرة فرأت انها « جيدة للاكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر » . . . .

حدثت فترة عند تلك الالتفاتة طال مداها كانت فيها حواء ولا ريب تنظر الى الشجرة بعين التأمل والاستحسان وعوامل الجسد تدفعها الى ان تتقدم اليها وتأخذ من ثمرها وروح الله الساكن في

قلبها يصوّر لها فظاعة التمدّي على وصية الله والنتائج الهائلة التي تتبع مخالفة اوامرهِ · هناك وقفت تلك الخليقة الضعيفة كقارب صغير ساقتهُ الرياح الى الموضع الذي فيهِ تلاقي مياه نهر كبير مياه البحر فاخذت امواج البحر تدفعهُ الى جهة النهر ومياه النهر المسرعة تدفعهُ الى جهة البحر · في حالة كهذه كانت حواء اثناء ذلك السكون · ربما ان ملائكة الله في السماء ابطلت التسبيح لحظةً لترى ماذا ستكون نتيجة تلك المحادثة بين الحية الخداعة المسافة ؛ وح ابليس وبين حواء المصنوعة على صورة الله · والرب القدير نظر الى الارض بتلهف عابس الوجه واصغى الى كلام حوّاء المسكينة والى افكارها السخيفة التي عرضتها للحية في ظل شجرة معرفة الخير والشر · ويسوع المسيح الذي كان وقتئذٍ مع الاب والذي قلبهُ امتلأ من المحبة للبشر من عهد آدم ربما شخص هو ايضاً الى

الارض حزيناً آسفاً على توغُّل حوَّاء في الحديث مع الحية · اياك ايها المسيحي ان تدخل في المحاورة مع الشيطان عند ما يأتي ليجرّبك فان اختباراته في الشر اكثر من اختباراتك وحيله كثيرة لا يصعب عليه ادخالها الى عقلك اذا سمحت له بان يحاورك · ارفع في وجه المجرّب سيف البرّ واطرده عنك حالاً باسم الرب يسوع · قل له «لا اريد ان اسمع منك شيئاً» وحوّل التفاتك الى يسوع · مهما سألك الشيطان من السؤالات وابدى لك من الآراء فلا تفه الاَّ بلفظة واحدة «لا لا» وانظر الى يسوع والفظ اسمه حالاً يولّي المجرب هارباً · ان جاوبت المجرب مرة واحدة اصبحت في خطر السقوط · ما اجملك ايها الحبيب يسوع وما اقدرك على غلبة كل جنود الشر فاجعلنا ان نتكل عليك في كل شيء ونحتمي في ظلك عند اقتراب العدوّ الينا لانك غالب وحاضر لتغلب ·

وترس لخائفيك وراس للكنيسة ·

بعض الاحيان عند ما تحدث سرقة كبيرة في الجبال وتتناول الحكومة المسألة ترسل بعض اصحاب الخبرة من موظفيها لتقرير الذين حدثت السرقة في جوارهم فيسأل المستنطق سؤالات مختلفة على المسئول ان يجيب عنها كلها · فمرارًا كثيرة يجيب المسئول عن كل السؤالات بجواب واحد وهو « لا سمعت ولا قشعت » · فبعبارة وجيزة كهذه يجب ان يجاب عن سؤالات الشيطان كلها · ففكرِ في اجوبة المسيح للشيطان وتعلم منها · « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤:٤ ماخوذًا من تث ٨ : ٣) · « لا تجرب الرب الهك » (مت ٤ : ٧ ماخوذًا من تث ٦ : ١٦) · « للرب الهك تسجد واياهُ وحدهُ تعبد » (مت ٤ : ١٠ ماخوذًا من تث ٦ : ١٣) · فان مطالب الجسد موسومة بالشر ونحن

في الوقت الحاضر ضعفاء امام التجربة كالنحلة امام الدبّور فان سلكنا بروح الله وكان الله ساكناً فينا خاف الشيطان ان يقرب منا ولكن ان اغفلنا النظر الى الله لحظةً واحدةً اصبحنا في خطر السقوط في قبضة الرجيم · يصعب على الشيطان ان يدنو من القلب الملآن بالروح القدس لان هيبة الله وبهاؤهُ حالاًن فيه كما كان بهاء الله على ايام موسى يحلّ في خيمة الاجتماع فلا يستطيع احد ان يقترب اليها الاّ من يدعوه الرب او يعينهُ لذلك · وكاني بالمجرّب يحاول احياناً ان يدخل الى قلب المسيحي فيصيح عليهِ ملاك الله الحارس ويقول «اخلع نعلك من رجليك لان المكان الذي انت فيهِ هو مقدّس» فيهرب حالاً لانهُ لا يقوى على احتمال النور السموي الحالّ في قلب المؤمن وذلك لاعتياده الاقامة في الظلمة · فلنذكر ان الغلبة على المجرّب للمسيح لا لنا ونحن اكثر من

غالبين بالمسيح يسوع · فلا نحاور التجربة بل لنغلق الباب في وجهها ونوجه افكارنا الى المسيح · فان غلط حوّاء الاكبر هو استماعها الى اقوال الحية واعتبارها آراءها فلو ادارت ظهرها لها ولم تجبها البتة عن سؤالها بل صوّبت عينيها الى الله وسارت في سبيلها لربما كانت نجت من السقوط · ولكن جوابها الاول للحية شجّع هذه على ان تطرح امامها التجربة الكاذبة وهي «لن تموتا بل تصيران كالله» فادخلت الى راس حوّاء فكراً جديداً لم يكن خاطراً لها على بال لانها حسبت الله صادقاً

ثم حبلت هذه التجربة لان المرأة سريعة التصديق فولدت خطيَّة اذ مدت حوّاء يدها واخذت من ثمر الشجرة واكلت...... آه ياليت حوّاء علمت مقدار الويل والشقاء والحزن والنوح والبكاء الذي ستجلبهُ على العالم المتسلسل منها بعدها

يدها الى تلك الشجرة فكانت تأملت هنيهةً قبل ما قطفت ذلك الثمر الشهي لعينيها · فان مدّها يدها الى شجرة معرفة الخير والشر وما كان احراها بان تسمَّى شجرة معرفة الشر فقط فتح على العالم بركاناً من الويلات والمصائب والمشقات والاتعاب ابتدأ هيجانه في الجنة واخذ يقذف من حممهِ المهلكة على العالم باسرهِ بكميات فائقة الحد ويرسل الى الجوّ من رماد فسادهِ السخن الهائل مقادير كبيرة وقعت على جسم البشرية فاحرقت ثوبها الابيض الطاهر وشوَّهت منظرها حتى انتهت الى ما نراها عليهِ الآن من الخسة والسفالة والشر · بماذا شعرت حوّاء عند ما مدَّت يدها لتقطف تلك الثمرة الممنوعة · أما خفق قلبها خفقاناً سريعاً واصطكَّت ركبتاها · أما رجفت عند ما دخلت تلك الثمرة فمها · أما امتنع لعاب فمها عند ما اخذت اضراسها تسحقها · هل وجدت طعمها الذّ

من طعم سائر اثمار الجنة · أما اسودّت الدنيا في عينيها · أما احست كأن صاعقة عظيمة انقضّت على صرح سعادتها فدكّتهُ الى الارض · أما أنبها ضميرها تأنيباً شديداً بعد ان اكلت منها · أما ركعت حالاً نادمة على ما فعلت وطلبت من الله المغفرة ······

يا لها من امرأة جسور فانها لم تتب حالاً بل اخذت ملء يدها من تلك الثمار الشهيّة وتوجهت الى حيث كان رجلها وناولتهُ اياها فاقتبلها

واين الحيّة الان · لا شك في انهـا اختفت حالما تيقنت نجاح خدعتهـا وتركت تلك المسكينة ترتكب التعدي وحدها · آي هذه صفات ابليس فلنتنبه لها · يحمل السارق على السرقة ويوقظ الناس ليقبضوا عليهِ · يحمي المغضوب على الغضب ويهرب ضاحكاً عليهِ · يحضّ الشاب على شرب المسكرات وحينما يسكر يأخذ ابليس يهزأ بهِ · هذه هي صفات

هذا الرجيم فانهُ يعمي اذهان غير المؤمنين لئلاَّ تضي لهم انارة انجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله (٢ كو ٤ : ٤) . فانهُ كاذب وابو الكذب وكما سعى في اسقاط حوَّاء هكذا يسعى اليوم في تعذيب البشر وسكب جامات الويل على رؤُوسهم . اعتاد الاولاد في الجبال ان يفتشوا على السرطان في الاماكن المجاورة للماء ليمسكوهُ ويلعبوا بهِ ومن فطنة هذا الحيوان انهُ يختبئ عندما يرى احداً مقترباً الى وكرهِ ولكن للاولاد شطارة في صيدهِ فيأْخذون حشيشةً خضراء يعلمون انهُ يحبها ويدنون من وكرهِ بكل هدوء ويقدمونها لهُ فيقبض عليها بمقصيهِ ليأْكلها فيجذبونهُ دفعةً واحدة الى خارج وكرهِ ويمسكونه . فاحذر ايها الاخ السوري من ان تفتح فمك لقبول الثمرة الجميلة الشهيَّة التي تقدَّم لك من شخص عندك اقل ريب في صفاء صداقتهِ لك او من رجل غير مسيحي

يودّ لو كنت شريكاً لهُ في اعمالهِ التي يعملها عن غير معرفة بوصايا الله · فيتودّد اليك ويقدم لك الثمرة قائلاً « هذه لا تضر · ليس بحسنٍ ان تكون متطرفاً في دينك الى هذا الحدّ فقد لقينا مسيحيين كثيرين في حياتنا ولكن مثلك مـا لقينا · اشرب هذه الكاس فقط فان فلان الفلاني المعروف بانـهُ مسيحي حقيقي يشرب بعض الاحيان كاساً او كاسين · تعال معي الى القهوة الفلانية فاننا لا نلعب بشيء بل نشرب فنجاناً من القهوة ونرتاح قليلاً ونسمع الموسيقى واغاني المغنيات ولا ارى في هذا شيئاً ضد ديانتك · هيّ بنا الى المرقص فاننا لا نرقص بل نتفرّج على الراقصين » · وهلمّ جرّاً من الاقوال المألوفـة التي نسمعها يومياً · فاياك ان تأكل الثمرة المقدّمة لك على هذه الطريقة فان فيهـا صنارة تغرز في حلقك فيجذبك بها العدوّ من مياه الحياة الجارية من

الروابي الدهريـة حيث السلام والفرح والراحة ويطرحك على الرمال المحرقة حيث الغم والكدر والشقاء . فاحترس من ان تخطو خطوة واحدة نحو مكان لا تأمن فيهِ على نفسك من السقوط . فان هذه الخطوة قد تكون بداءة مئات من الخطوات لا يعلم اين تكون نهايتها . الدخول الى القهوة مرة واحدة قد يكون سبباً في هلاك الحياة كلها . كلمة بطالة مع رفيقٍ قد تكون سبباً في ان تقود القائل والسامع كليهما الى حياة تعيسة شقية . كل خاطئ يمكنهُ ان يرجع الى الوراء في طريق حياتـهِ الماضية حتى يصل الى نقطة معينة ويقول « هذه النقطـة هي اصل شقائي وبلائي » . دموع كثيرة تذرف في العالم يومياً وأنّات وتنهدات بلا عدد تصعد كل ساعة الى عرش الله ولو استقصينا اسبابها الى آخرها لوجدناها تنتهي في اشارة او كلمة او بسمة او زيارة او هدية او اكلة

او محادثة قصيرة · فما احلى ان يكون الشاب المسيحي ممتلئاً بروح عسكري · اذا طلب منهُ اصحابهُ ان يشاركهم في عمل امورٍ ربما يقود عملها الى ما لا تحمد عاقبتهُ رفض طلبهم بكل عجلة وشجاعة وعزم · فاسمع كيف جاوب يوسف امرأة فوطيفار « كيف اصنع هذا الشر العظيم واخطئ الى الله وكان اذ كلمت يوسف يوماً فيوماً انه لم يسمع لها »

واما آدم فكان خالي الذهن من كل ما جرى بين امرأتهِ والحية وربما كان مضطجعاً تحت احدى الاشجار يتأمل في عظمة الله وجلالهِ وفي تلك الحالة السعيدة التي اوجدهُ سبحانهُ فيها وكيف انهُ لم يتركهُ وحده بل اعطاهُ معيناً ليكون شريكهُ في السرّاء والضرّاء ومسلياً لهُ عن وحدة الجنة وعزلتها ونصوحاً لهُ عند اشتداد الازمة وتفاقم الامور · وربما كان يعيد الى عقله وصية الله لهُ بخصوص شجرة معرفة الخير

والشر ويبحث عن السبب في ذلك كأنما في تلك الشجرة سرٌّ اراد الله اخفاءهُ عنه . وقد يحتمل ان آدم افتكر كثيراً في امر هذه الشجرة قبلما اقبلت حوَّاء عليهِ حاملةً الثمار في يدها لان من عادة عدو البشر ان يرمي شرارة التجربة في قلب الفريقين المعرَّضين لها كما فعل دمنة لما حرَّك الاسد على الثور . وبينما آدم على تلك الحال من التأَمُّل اذا بحوَّاء مقبلةٌ اليهِ فناولتهُ ثماراً جميلة شهية للنظر قائلةً « خذ كُل » فاخذ واكل . هنا تمت التجربة التي ابتدأَت بالسؤال البسيط « احقاً قال الله لا تأكلا من كل اشجار الجنة » فانتجت موتاً . الم تكتفي ايتها المرأة بسقوطك انت حتى هوَّرت هذا المسكين ايضاً معكِ في جب الموت . هنا تحت اشجار الجنة مركز السعادة والفرح هبَّ النسيم البارد فوقع على جبين ابينا آدم المقطَّب من الخوف والحزن والمتقطر

منهُ عرق الاضطراب بعد ان انفتحت عيناه ورأى
الحالة التي امسى فيها . هنا في نور الجنة البهيّ
هوت على راس آدم غيمة سوداء تخيل لهُ ان الدنيا
انقلبت عليهِ او جبلاً عظيماً سقط على قلبهِ . هنا
حدث اول سكوت بين الرجل وامرأتهِ فاخذ آدم
يتفرّس في وجه حوّاء وحوّاء تتفرّس في وجه آدم
وعلائم الاضطراب والخوف بادية على وجهيهما . هنا
في وسط سلام الجنة حدثت اول خدعة من المرأة
للرجل وهما في بداءة لذة حياتهما فتعكّر صفوهما وشّمت
نباتة راحتهما . هنا في حضرة الله القدير المنزّه عن
الشرور جرى اول تعدي على وصيتهِ تعالى فالزمهُ ان
يحزن لاوّل مرّة على انهُ صنع الانسان . هنا في
حضرة جند السماء انفتحت عين آدم فرأى جسدهُ
وبدأ يهتم بهِ وانقطع الحبل الذي كان واصلاً قلبهُ
بالسماء وتمزّق ستار القداسة الذي كان مواريا جسده

عن عينيهِ . وهنا انفتحت ابواب الجحيم فخرجت منها انواع الشر والمعاصي واسراب الذئاب الخاطفة لتعذب الانساب ونسلهُ الوفاً من السنين . واخيراً هنا ابتدأ نهر الدموع الذي اخذ من ذلك الحين يتسع ويتعاظم رويداً رويداً وسيبقى سائراً في مجراه الى يوم القيامة الثانية حين يمسح الله كل دمعة من عيون ابنائهِ

فيا ايها الاخ المسيحي هل مرّت عليك هذه الاختبارات في حياتك . أكنتَ مع المسيح مرةً متلذذاً بسلامهِ العجيب ثم غرّك المجرّب فاقترفت اثماً ضدّ الهك . آه انهُ من المحزن ان نرى شخصاً راجعاً الى الخطية بعد ان اغتسل من اقذارها بدم يسوع وذاق طعم الحياة المسيحيّة واظنّ ان شخصاً كهذا لا يستطيع بعد ذلك ان يجد راحةً في العالم . فاسمع ما كتبهُ مسيحيٌ مرةً

« عشت مدة مع الله ثم سقطت في الخطية

وتلطخت باقذارها فوجدت نفسي في ظلام دامس لا اعرف منهُ مهرباً وضاق صدري حتى لم اعد اتصوَّر ان بقائي في الحياة ممكن وخيَّم على عقلي ومداركي غيمة سوداء كثيفة حجبت عني بهاء ذلك النور السموي فاشعرت كاني فاقد جوهرة عزيزة لا تلذُّ لي الحياة بعدها فقرعت سني ندماً وتمنيت لو اني ما اغظت الله قط · فعدت على نفسي باللائمة وعزمت على الرجوع الى الله فاخذت تلك الغيمة المظلمة تنحلُّ تدريجاً حتى انقشعت تماماً واطلَّت عليَّ من ورائها شمس البر المحبوبة فالقت عليَّ شعاعاً سموياً أنساني الدنيا وما فيها وغمرتني ببهاء مصدره عرش ابي الانوار فطفر قلبي طرباً وارتياحاً فشكرت الله ومجدتهُ وساجدهُ ما دمت حياً »

فهلمَّ ايها الابن الضال وارجع الى بيت سيدك فالبراري ليست بمأواك والخرنوب لا يليق ان يكون

مأكلك فقلب ابيك حزين لفراقك واحشاؤهُ متألمة
لابتعادك عنهُ وكل مساء يخرج الى خارج ويتلفت
الى الطرق ليرى ان كان شخصك المحبوب آتياً . هلمَّ
ايها الشاب السوري الذي تبعت المسيح يوماً والآن
تركت حظيرة الخراف واندفعت الى وسط جمهور العالم
السائر في الشر والمعاصي وامتَّ كل الشعائر الدينية
من قلبك وانفقت ما اعطاك ابوك من قوة الجسد
والعقل في سوق الشر على الاباطيل الدنيوية والملاذ
الشبابية وتهت في قفر الهلاك مع عشراء اردياء لا
يتحادثون الاَّ بامور شريرة ولا يقضون اوقاتهم الاَّ في
سرد القصص التي يأبى الشريف سماعها — هلمَّ وارجع
الى مخلصك الحبيب فالسماء موطنك لا جهنم والتلال
مرعاك لا الاودية ولحم العجل المسمَّن مأكلك لا
الخرنوب وماء الحياة مشربك لا المسكرات
والاحضان الابوية متكأك لا احضان الزواني . فلماذا

تأخر وضميرك يؤنبك كل يوم على تركك المسيح وانغماسك في الخطية . ان يوم الرب قريب ومجيء المسيح الثاني اقرب مما نتوهم فلنكن مستعدين لانه في ساعة لا ننتظرها يأتي ابن الانسان . « جماهير جماهير في وادي القضاء الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها والرب من صهيون يزمجر ومن اورشليم يعطي صوته فترجف السماء والارض — يؤ ٣ : ١٤ — ١٦

وبعد ان اكل آدم وحواء من الشجرة المنهي عنها علما انهما عريانان فاخذا يفكران في طريقة يستران بها عريهما فتوجها الى شجرة تين عريضة الاوراق وجلسا تحتها حقيرين ذليلين وامائر الغم والحزن والخوف مرتسمة على وجهيهما واخذا يقطفان من اوراقها الطرية ويخيطان مآزر وكلما سمعا صوتاً في الجنة اخذتهما الرعدة وارتجفت اعصابهما لظنهما ان الله آتٍ . وكاني اراهما جالسين تحت شجرة تين في احدى زوايا

الجنة يتلفتان الى اليمين والشمال منتظرين قدوم الرب وآدم يقطف اوراقاً كبيرة من هذه التينة ويناول امرأتهُ اياها لتخيطها معاً لان مهنة الخياطة كما يظهر هي لها من الاوَّل . ولا يبعد ان حوَّاء في هذه البرهة القصيرة كانت تهدّئ روع آدم كما هو معروف عنها لعهدنا هذا بقولها « ما يسايل شي مضى وراح والمعرفة التي اكتسبناها الان افضل من كل شيء فلو بقينا جاهلين اننا عريانان لربما كانت الشمس احرقت جسدينا بدون ان نشعر بذلك وعسى ان الله يسامحنا متى فهم العذر الذي لنا » . آه ما اقدركِ يا حوَّاء وما اقدر لسانكِ على تسكين اضطراب الرجل الواقع بين يديكِ . ولا شك في ان المئزر الاول الذي اكملتِ خياطتهُ قدمتيهِ لآدم لتطيبي خاطرهُ وتحوّلي افكارهُ عن ذلك التعدّي الفظيع الذي فعلهُ على وصية الله . قال القس ميَر الانكليزي ان اللطف من

اشهر صفات شبان سوريا وغالباً يكون اللطيف مائلاً الى الرخاوة · واظن انهُ مصيب في حكمهِ فالحذر يا اخوتي الذين يريدون ان يتبعوا المسيح ويعملوا في كرم الرب من العلوق بحبائل امرأة لا تعرف الله ولا قيمة البرّ والتقوى فان اخبار سقطات مثل هذه كثيرة لا تحصى والويلات التي تجرها يبقى اكثرها مدى الحياة فيُندم عليها حين لا ينفع الندم · فلننظر الى المسيح عالمين ان دعوتنا هي من السماء وان سفرنا هو نحو السماء وان كل ما نعملهُ في هذا العالم يجب ان يكون لتمجيد الله · احذر ايها الاخ الحبيب من التي تحاول ان تمزّق عنك ثوب القداسة وتخيط لك عوضاً عنهُ ثوباً من اوراق تين خضراء تيبس بعد ثلاثة او اربعة ايام من قطفها · فان مدننا قد امتلأت في هذه الايام من القهاوي والمحلات الفاسدة ومكاتبنا كثرت فيها الروايات غير الادبية واسماعنا آلفت سماع اغاني

الّفها اناس فاسدو الذهن وشباننا انفتحت عيونهم الى
افات التمدن الحالي بذهابهم الى المدن الاوربيَّة
والاميركية فما احلى ان تبقى اثوابنـــا الشبابية بيضاء
طاهرةً لا لطخة البتة عليها بل تتلألأْ كما يتلألأُ الثلج
على قمة صنين عند وقوع اشعة شمس الصباح عليهِ ·
وما احلى ان نبقى راتعين في جنة الله راقصين كالحملان
حينما تخرج من حظيرتها ايام الربيع وشاربين من ماء
الحياة الجاري في وسط جنة السلام وناظرين الى
المسيح بكل شجاعة وثقة لتيقننا ان لا شيْ بيننا وبينهُ
من ان نلجأْ الى شجرة التين لنخيط لانفسنا مآزر نستر
بها الخطية التي ارتكبناها · وما احلى ان تبقى قلوبنا
شديدة قوية من نحو الله كالصخر الاصم المنبطح في
سهول لبنان لا تلينهُ مقاطم الشر ولا تؤثّر فيهِ رياح
الخطايا بل اصغر نقطة من مطر روح الله تترك فيهِ
اثراً لا يمحى · فالذي نحتاج اليهِ يا اخوتي شبان سورياً

في وسط هذا الجيل المعوَّج الملتوي هو ان نكون
اقوياء مع لطف غيورين في خدمة الرب لابسين
ثوب الطهارة لا ثوب اوراق التين وممتلئين بالروح
القدس . « فمن اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل
لكي تقدروا ان تقاوموا في اليوم الشرير وبعد ان
تتمموا كل شيء ان تثبتوا (اي بعد ان تغلبوا على كل
الخطايا المتسلطة عليكم) . فاثبتوا ممنطقين احقاءكم
بالحق ولابسين درع البرّ (البرّ ومعناه الوقوف امام
الله بعد ترك الخطية هو كالدرع يمنع السهام من
الوصول الى القلب) وحاذين ارجلكم باستعداد انجيل
السلام . حاملين فوق الكل ترس الايمان الذي به
تقدرون ان تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة (كثيراً
ما تعرض للشاب شكوك مختلفة ولكن لو تلقّى كل
تجربة مثل هذه بالقول « انا اؤمن ان هذا حقّ »
لنجا من هذه الشكوك) افس ٦ : ١٣ — ١٦

وقبل ان نتقدم اكثر يحسن بنا ملاحظة امر كان العامل الاقوى على تجربة حوّاء وهو شهوة العين . ونظرت حوّاء الى الشجرة فرأت انها بهجة للعيون وشهية للنظر . وبعد ما اكلت منها انفتحت عيناها فصارت تعرف الخير والشر . قال يوحنا « لان كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظّم المعيشة ليس من الاب بل من العالم » (١ يو٢ : ١٦) وقال ربنا « سراج الجسد هو العين فان كانت عينك بسيطة فجسدك كلّهُ يكون نيّراً وان كانت عينك شريرة فجسدك كلّهُ يكون مظلماً فان كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون (مت ٦ : ٢٢ و ٢٣) . هذهِ هي القاعدة العامة لهذه العين الدقيقة التركيب التي وضعها الله في احسن مركز في الجسد . فهي كالسراج ان كانت بسيطةً منيرةً انارت الجسد كلّهُ وان كانت شريرة مظلمة ملأت الجسد

ظلاماً . يمرّ شاب ببستان جميل في وسطهِ قصر عالٍ على غاية من الرونق حسن الصنعة ودقيق الزخرفة فيقول في قلبهِ « يا ليت هذا القصر لي » . وبعد دقيقةٍ يمر شاب آخر بنفس ذلك المكان فيرى البستان والقصر الذي في وسطهِ ويقول « الله يبارك صاحب هذا المكان » . فالشاب الاول عينهُ شريرة والثاني عينهُ بسيطة صالحة . الاوَّل اشتهى ملك غيرهِ لنفسهِ والثاني طلب البركة على املاك غيرهِ . وهذا ما يحدث يومياً في العالم . فاسمع ايها الشاب ما وصّى بهِ الله موسى على جبل حوريب بل ما كتبهُ الله مرتين على لوح من حجر فتعلمهُ شبان بني اسرائيل ولا يزال يتعلمهُ الاولاد في هذه الايام عند دخولهم المدرسة وهو « لا تشتهِ بيت قريبك لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبدهُ ولا امتهُ ولا ثورهُ ولا حمارهُ ولا شيئاً مما لقريبك » . وقال يسوع « كل من ينظر الى

امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبهِ » . فاكتب ايها
الطالب الحياة الابديّة هذه الكلمات باحرف من نور
على قلبك حتى لا تنساها ابداً فان اقوى اشراك
ابليس واشد حبائلهِ هو ما ينصبهُ امام العين والعين
ضعيفة تذعن حالاً للتجربة . اسفاً على شابٍ لا يخرج
للتنزه في المتنزهات العمومية الاَّ ليراقب حركات هذه
وتلك وليفتح باب قلبهِ على مداهُ للارواح الفاسدة
لتدخل وتربع ذهاباً واياباً . اسفاً على شابٍ يقضي
لياليهُ في محلات الغناء والرقص مشبعاً قلبهُ من
جوعهِ الشيطاني بالتصوُّرات الدنيئة والافكار
الشريرة . اسفاً على شابٍ لا تعرف عينهُ الاَّ النظر
الى الحفر الممتلئة اقذاراً واوساخاً والى الآبار المظلمة
التي بلا ماء حيث يأوي الفراش الاسود وتنمو
ميكروبات الفساد القتالة وتتركب الروائح الكريهة
وحيث يسكن ابليس وجنوده يضرمون النار في

مواقد الشهوات السافلة · وسقياً لشابٍ اعتادت عينهُ النظر الى الجبال المغشاة بثلوج الطهارة والى عيون الماء الصافية الجارية ليلاً ونهاراً والى الاكام الدهرية حيث يسكن ملائكة اطهار لا يعرفون شراً وجمهور من الجند السموي وارواحٍ ابرار مكملين وحيث يسكن الرب القدير الذي عيناهُ اطهر من ان تنظرا الى الشر · ليس من لوم على العين بل اللوم كل اللوم على القلب · خلق الرب كل شيء حسناً ووضع هذا العضو اللطيف في وجه الانسان ليدرك بهِ محاسن الطبيعة ويعجب لعظم حكمة الله فدنَّس الانسان هذه العين الطاهرة بتناولهِ الصور الجميلة الداخلة اليها ورسمهِ اياها صوراً دنسة على قلبهِ · ولهذا صاحب العين الشريرة يكره ان يطَّلع احد على ما في قلبهِ فهو كما قال يسوع كالقبر المبيض من الخارج واما من الداخل فمملوءٌ عظاماً واجساداً مائتة واما صاحب العين

البسيطة الطاهرة فقلبهُ من الداخل اشدّ بياضاً منهُ
من الخارج ٠ فلا ينتظر منا نجاح ايها الشبان في عملنا
للرب ما لم تَصِرْ قلوبنا طاهرة نقية لا تثبت عليها الاَّ
الصور الطاهرة التي كانت تثبت على قلب رئيس
خلاصنا لما جال مثلنا على هذه الارض

وما يقال عن شهوة العيون يقال ايضاً عن باقي
الشهوات الجسدية « ولكن الذين هم للمسيح فقد صلبوا
الجسد مع الاهواء والشهوات » (غلا ٥ : ٢٤) « واما
الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البرّ والايمان
والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي
(٢ تي ٢ : ٢٢) ٠ ولكن قد ظهرت نعمة الله المخلصة
لجميع الناس داعية ايانا ان ننكر الفجور والشهوات
العالمية ونعيش بالتعقل والبرّ والتقوى في العالم الحاضر
(تي ٢ : ١١ و ١٢) ايها الاحباء اطلب اليكم كغرباء
ونزلاء ان تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب

النفس (١ بط ٢ : ١١) . لان كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة ليس من الاب بل من العالم (ايو ٢ : ١٦ و ١٧) . هذا ونظراً الى قوة الشهوات الجسدية يقتضي على كل شاب صمم على اتباع المسيح ان يتقوّى بكل قوة الله حتى يستطيع ان يقف في وجه زوابع هذا الدهر الشرير وينجو من الوقوع في قبضة شهوات الجسد المحاربة النفس . وكأني ارى في المستقبل القريب اكليلاً جميلاً يتلالأ في يد المسيح وهو عازم على وضعهِ على راس شابٍ مرَّ في وسط هذا العالم الشرير المشحون بالآثام والتجارب غالباً ظافراً لا لطخة بانت على ثوبهِ الابيض المطهّر بدم المسيح ولا غضن ظهر على وجههِ اللامع المضاء بنور المسيح بل كانت ابصارهُ مصوَّبة الى شاطئ الابدية حيث ترك عند موتهِ هذا القارب المصنوع من لحم ودم وانضمّ الى جماعة المقدسين المنتظرين

قدوم يوم الرب . « كن اميناً الى الموت فساعطيك اكليل الحياة » فلنركض لكي ننال .

آدم بعد السقوط

—*******—

سلام سلام للبعيد والقريب قال الرب وسأشفيه . اما الاشرار فكالبحر المضطرب لانهُ لا يستطيع ان يهدأ وتقذف مياههُ حمأةً وطيناً . ليس سلامٌ قال الهي للاشرار — اش ٥٧ : ١٩ — ٢١

اين اذهب من روحك ومن وجهك اين اهرب ان صعدت الى السموات فانت هناك وان فرشت في الهاوية فها انت — مز ١٣٩ : ٧ و ٨

وبينما آدم وحوَّاء جالسان في ظل شجرة التين يخيطان مآزر لانفسهما اذا بصوت هبوب ريح شديد في وسط الجنة . ومن خلال صوت الريح سمع هذان الخاطئان صوت الرب الاله ماشياً في الجنة فعلت

وجهيهما علائم الخوف والانزعاج ونهضا حالاً واخذا يركضان بين الاشجار يفتشان على مكان ظليل يختبآن فيهِ فنادى الرب آدم وقال له « اين انت » .
طالما سمع آدم في الماضي هذا الصوت الرهيب يرن بين اشجار الجنة فلم يخف عند سماعهِ بل برز حالاً بوجهٍ متهلل فرحاً وتكلم مع الله بكل شجاعة وثبات فما الذي جرى له الآن حتى جفل هذا الجفول واضطرب هذا الاضطراب وعلق يعدو في الجنة كالارنب وحواء المزوم تعدو خلفه وتتلفت الى الوراء لترى اذا كان الرب يتبعهما . ولماذا لم تقف حواء مكانها وتبسط اعذارها لله تحت شجرة التين عوضاً عن ان تجد في الفرار مذعورة . مسكين الانسان . هرب عند ما طرق اذنه صوت الرب لانه اخطأ والخاطي ذليل كسير القلب لا يقوى على مواجهة الله ويطلب اقل فرصة للاختباء من وجههِ

فالذي في الظلمة يهرب من النور ولا يريد ان يأتي الى النور لئلاَّ توبَّخ اعمالهُ . ألَم يخطر على بال آدم حينئذٍ ان الله موجود في كل مكان ولا يستتر عن عينيهِ شيء بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معهُ امرنا . عبثاً يسعى الشرير في تغطية خطيتهِ او القاتل في طمر مقتولهِ حتى ولو نجح في اخفاء جرمهِ عن عيون الناس ففي الاعالي عين تخرق سجوف الظلام وترى جلياً كل حركات بني البشر . باطلاً يتعب السارق في الفرار من وجه الحكومة متنقلاً من بلاد الى اخرى فان بجانبهِ اله لا يرى البتة ولا بدَّ من ان يقبض يوماً على هذا السارق فيعاقب على سرقتهِ اما في هذا العالم او في الآتي . « فالشر يتبع الخاطئين والصديقون يجازون خيراً » . وكيف يستطيع الخاطي ان يهرب من وجه الله . ولو امكنهُ النجاة من قصاص الخطية في هذا العالم فعند

الموت يصبح في قبضة الله حيث لا شفيع يقدر على التشفع فيهِ اليهِ تعالى · فيقف امامهُ صامتاً لا يتجرأ ان يفتح فاهُ · فالحكيم من اعترف بخطيتهِ لله ونال منهُ المغفرة لا من القى حمل خطيتهِ على عاتقهِ وجعل يضرب في الآفاق · واجهل الكلّ من فعل خطية سريةً ومشى بسكون بين الناس ظاناً انهُ لم يعلم بهِ احد والموت يمحو كل شيءٍ · فان الله قال لقايين « صوت دم اخيك صارخ اليَّ من الارض » وقال لابراهيم « صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً » وقال ليونان « قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة ونادِ عليها لانهُ قد صعد شرّهم امامي » فكأنما لكل خطيةٍ مبوّق يأخذ يبوّق امام رب الجنود من وقت ارتكاب تلك الخطية الى وقت غفرانها واذا مات صاحبها قبل ان يتوب يقابلهُ هذا المبوّق عند مدخل الابواب اللؤلؤيَّة ويجذبهُ الى الهاوية · وكاني

سامع صوت دم هابيل يصرخ في غرفة الاموات ليلاً ونهاراً قائلاً «قايين قتل هابيل قايين قتل هابيل». ان الله يمقت الخطية وعينه اطهر من ان تنظر اليها لانه قدوس يهوه اسمه وطبيعته مقدسة لا تحتمل الخطية. لقد كان الاسرائيليون يرتجفون عند سماعهم دمدمة الرعود على جبل سيناء لان قلوبهم الخاطئة لم تحتمل الاقتراب من هكذا اله قدوس ولا سيما الافراد الشريرون بينهم فلا شك في ان السارق والزاني والكاذب والقاتل كانوا يقفون في مؤخر الجماعة عند نزول السحابة على راس الجبل. وداود شعر بثقل خطيته الاولى شعوراً قوياً فصعد في مصعد جبل الزيتون باكياً وراسه مغطى وكان يمشي حافياً وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد راسه وكانوا يصعدون وهم يبكون. واما في هذه الايام فقد قل خوف الناس من الخطية وصاروا يستصغرونها ويستخفون

بها فيقدمون على ارتكاب افظع الخطايا بكل جسارة وشجاعة كأنَّ الله ترك الكون وشأنهُ فتسمع الشاب يسب ويلعن ويشتم ويتكلم كلاماً قبيحاً وتراهُ يعمل اعمالاً تأبى النظر اليها النفوس الابيَّة · صعبٌ عليك ايها الاخ ان ترفس منافس · فان كان الله القدير يتأنَّى عليك ولا يريد ان يهلكك فلا يليق بك ان تسلك في سبل الخطية وتترك الله متوهّماً انك ناجٍ من يده · « ان نقبوا الى الهاوية فمن هناك تأخذهم يدي وان صعدوا الى السماء فمن هناك انزلهم وان اختبأُوا في راس الكرمل فمن هناك افتش واخذهم وان اختفوا من امام عينيَّ في قعر البحر فمن هناك آمر الحية فتلدغهم » (عا ٩ : ٢ و ٣)

لما مدَّ آدم يدهُ وتناول الثمرة من يد حوَّاء واكلها صعد صراخ الخطيـة الاولى الى حضرة رب الجنود فنزل الى الجنة حزين القلب ودنا من حيث

كان آدم في هبوب ريح عاصفة · كذلك لما قُتل هابيل صعد صراخ خطية قايين الى عرش ملك الملوك فاقبل حالاً الى الارض ونادى قايين قائلاً اين هابيل اخوك فهوذا صوت دمهُ صارخٌ اليَّ من الارض ثم فاه سبحانهُ بالقصاص الصارم على هذا القاتل الاوَّل ·

كذلك لما تزايد الشر في سدوم وعمورة وانصرف الناس الى الغنى والفخفخة والفساد والعهر والرذائل بجملتها ولم يعودوا يعرفون الله بل اصبحت كل تصوّرات قلوبهم شريرة صعدت اصوات خطاياهم الى الرب وتكاثرت جداً حتى ان الرب قال «انزل وارى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي اليَّ» · فكانما الخطيةُ التي يعملها هذا الانسان الجبَّار لا تصرخ فقط بل تنزل الله الى الارض ليرى في امر مرتكبها ويصدر حكمهُ عليه · واخيراً نزل المسيح الى الارض ومات معلقاً على خشبة الصليب لعنةً من اجلنا لكي نصير

نحن برّ الله فيه . لا تستهن ايها الخاطئ الشرير بغنى لطف الله وامهاله فان ربنا نار آكلة ولكنهُ يتأنّى علينا الآن من عظم محبته لنا ولا يريد ان يهلك احد بل ان يقبل الجميع الى التوبة . ولكنهُ سبحانه قد عيّن يوماً فيه مزمع ان يدين جميع المسكونة بالعدل « وقد وعد قائلاً اني مرة ايضاً ازلزل لا الارض فقط بل السماء ايضاً »

اول توبيخ سمع على الارض جرى في احد اطراف الجنة وآدم وحواء مختبآن من وجه الله . فنادى الرب آدم وقال له « اين انت » . اين اختبأتَ من وجهي يا جاحد النعمة . فاجاب آدم سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فاختبأت . آه ما اصعب الخطية وما اشأم عواقبها فانها تعرّي الانسان من كل فضيلة وتصيرهُ جباناً ينفز خوفاً عند سماعه اقل صوت او حركة . فهل

تأملت مرةً ايها القارئ العزيز وانت تعمل الخطية المتسلطة عليك او وانت في محلٍ يكرههُ الله او بين قوم تضرك معاشرتهم أن بجانبك ذلك القدير الذي جاء في هبوب الريح في الجنة وفي السحابة النارية على راس جبل حوريب وهو يقول لك «اين انت» «ما لك ههنا يا ايليا» . نعم ان عيني الله تجولان في كل الارض ليتشدَّد مع الذين قلوبهم كاملة نحوهُ وليشجع طالب التوبة على ترك الخطيةّ

اما آدم فاجاب الله قائلاً «سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فاختبأت» وكانهُ يقصد ان يقول اني لا اجد نفسي مستحقاً ان اقابلك لاني عريان من القداسة التي كنت رافلاً بها ولا يليق ان اقابلك بهذا الثوب الذي خاطتهُ لي حواء من اوراق التين . فقال لهُ الله «من اعلمك انك عريان هل اكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تأكل منها» .

فقال آدم « المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فاكلت » ثم المرأة القت اللوم على الحية كما هي عادة المذنبين في كل زمان · فشرع الله حالاً يفوه بالقصاص على كل واحد من الثلاثة بادئاً من الحية حتى انتهى الى آدم فقال لهُ « ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل · بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود الى الارض التي اخذت منها · لانك تراب والى تراب تعود »

ثم رأى الله ان المآزر التي خاطها هذان المتعدّيان لا تفي بالغرض من حفظ حرارة الجسد من الاشعاع شتاء ووقايته من الحرّ صيفاً فصنع لهما اقمصة من جلد والبسهما ثم قال لهما على ما يظنّ « قد خسرتما يا آدم وحوّاء السعادة التي وهبتها لكما ومزقتما بايديكما ثوب القداسة الالهية الذي انعمت به عليكما والآن

بمزيد الاسف اخبركما بان لا مركز لكما بعد في هذه الجنة فاخرجا الى الارض واعملاها واسكنا مع الحية صديقتكما · ولكن اعدكما ان في المستقبل البعيد يخرج من صلبكما من يسحق راس هذه الحية · فاشبعا الان نظركما من مرأى الجنة لانكما لن تدخلاها بعد » نخرج آدم وحوّاء من باب الجنة حزينين مغتمين · وكاني اراهما خارج الباب لابساً كلٌ منهما قميصاً من جلد كما يلبس بعض العرب في هذه الايام كالحي الوجه كاسفي الجبين ويبكيان بكاء مرّاً والدموع تتساقط الى الارض كالمطر وصوت تنهدهما يصعد في الهواء · وحيناً بعد حين يقفان عن البكاء ويلتفتان الى الوراء الى تلك الجنة المحبوبة التي عاشا فيها من اول ظهورهما على هذه الارض ثم يفتكران بانهما لن يرياها بعد فيجهشان بالبكاء ثانيةً · وكيف لا يبكيان وقد فقدا وطناً عزيزاً يعزُّ عليهما فراقهُ صرفا فيهِ اياماً سعيدة

يتنقلان من ظلِّ شجرة واحدة الى ظلِّ اخرى ويأكلان من اثمار تلك الاشجار الشهيَّة ويشربان من المياه الصافية المندفعة بين سوقها ويخاطبان الله وجهاً لوجه بقلب مملوء من الفرح والابتهاج ونجوم السماء تتلألأ فوق رأسيهما كانها ما وجدت الاَّ لتبتسم لهما ليلاً فتزيد سرورهما سروراً وتنفي عنهما وحشة الظلمة. تشرق الشمس صباحاً فيظنها آدم ضاحكةً في وجهه واشعتها راقصة له طرباً وتنحدر الى المغيب مساء ويعلوها الاحمرار فيظنها آسفةً على فراقهِ. فلا يلبث ان يظهر القمر في الشرق بعد غيابها ساعياً وراءها فيطرح نوره اللطيف على اشجار الجنة وعلى المياه المنتشرة في ارضها فينظر آدم الى الماء ويعجب من رؤيتهِ صورة القمر هناك فيدعو حوَّاء ويريها ذلك. نعم يحقّ لآدم ان يبكي على فراق وطن كهذا. فانهُ وجد نفسهُ الان خارج الجنة طريداً

وقلبهُ فارغ من السلام الالهي وعقلهُ مظلمٌ جداً وكل شيءٍ قد تبدّل . فالحيوانات التي كانت قبلاً طائعةً لهُ نفرت الان منهُ بغضب كانها تتهدّد حياتهُ ويدهُ التي ما اعتادت الاَّ قطف ثمار اشجار لم تغرسها عليها الان ان تعتاد استعمال الفأس والمعول . هنا ابتدأ الشقاء ايها القارئ العزيز وهنا ابتدأت توسلات الفقير المفتتة الاكباد وأنّات الجريح وصراخ اليتامى وتنهُّد المحزونين وكل عويل وبكاء ونوح . هنا ابتدأ سعي الانسان وراء المال وتحصيل الغنى والمسابقة في ميدان هذه الحياة واندفاع الجمهور كله وراء العالم ومجدهِ وملذاتهِ وشهواتهِ كاندفاع قطيع من الذئاب وراء حيوانٍ هارب

فاخذ آدم وامرأتهُ بعد طردهما من الجنة يجولان في الارض مكتئبين حتى وجدا مكاناً مناسباً للسكن فسكنا فيهِ وربما كانا يتنقلان من مكانٍ الى

آخر كالعرب في ايامنا هذه · وكأني ارى في الماضي البعيد رجلاً شيخاً متجعد الوجه مكللاً راسهُ بالشيب قاعداً القرفصاء في باب خيمتهِ المصنوعة من شعر المعزى وبجانبهِ امرأة متقدمة في السن بادية على وجهها علائم القوة والنجابة وشعرها مجدول وملقىً على ظهرها وحوله عدد من الاولاد والبنات وهو يقصّ عليهم بلحن التحسُّر والتأسُّف ونقط الدمع تتساقط الى الارض تاريخ بداءة حياتهِ وكيفية سقوطهِ وطردهِ من الجنة الجميلة التي كان فيها هو وامرأتهُ · ثم يخبرهما بمواعيد الله لهُ وكيف انهُ يجب ان يقدّم ذبائح دائماً لله · هذه هي صورة العائلة الاولى التي تألفت على هذه الارض

وحدث ذات يوم بينما آدم وحوّاء في خيمتهما اذ بلغهما خبر قتل ولدهما هابيل انفطرت قلوبهما حزناً وندباً سوء بختهما وسال الدمع على تلك الخدود

التي جمدتها حوادث الايام ولا شك في أنّ هذين الشيخين توسّما في كل المصائب التي اصابتهما بعد خروجهما من الجنة قصاص خطيتهما الاولى

واخيراً اتى وقت وفاة آدم فمات واجتمع اعضاء تلك العائلة الحزينة حول جثته يبكونه ثم حملوه الى مدفنٍ معدٍّ لهُ وواروهُ الثرى . آه ايها القبر أعَلِمَ آدم قبل موتهِ ان ملايين من الاجساد المتناسلة منهُ سوف تطرح فيك فيفتك بها الدود وتعود الى التراب الذي صنع هو منهُ وان عيون ملايين من الامهات والوالدين والاصدقاء والزوجات والبنين ستتقرّح من ذرف الدموع على ترابك اسفاً وتحرُّقاً على عزيزٍ لا يرون الحياة لذيذةً بعد وفاتهِ ورفيق حياةٍ لا يصدقون ان البقاء ممكنٌ بعد انصرافهِ وصديقِ صبا لا يعلمون كيف ينسون اياماً وشهوراً تقضّت عليهم معه بالرغد والهناء . آه ايها القبر أراكَ مغارةً ظلماء

وعلى جدرانها السوداء عدد من الخفافيش والحشرات
التي تأوي الاماكن المظلمة وفي ارضك ملايين من
الدود الأكَّال تفتك اسنانهـا الصغيرة الحادة
بالاجساد المطروحة لها وبابك واسع مفتوح لقبول
جماهير الاموات المحمولة اليك كل يوم وعلى عتبته
محفورة الجملة الآتية كما بالازميل «لانك تراب والى
تراب تعود» . وكاني ارى العالم كلَّهُ جارياً اليك في
موكب عظيم البعض حاملون اكياساً من الدراهم على
اكتافهم والبعض واضعون اكاليلاً من المجد العالمي
على رؤوسهم والبعض ممتطون خيلاً من الشهوات
العالمية اعنتها مطروحة على اعناقها والبعض ناظرون
الى الوراء الى الارض وما فيها من الاملاك والارزاق
كانهم لا يريدون مفارقتها والبعض وهم في آخر الكل
عراة لا شيءٌ من العالم عالقٌ بهم بل انظارهم متجهة الى
العلاء من حيث ينتظرون قدوم سيدهم ووجوههم

باسمه كأن ليس لك ايها القبر سلطان عليهم ٠ فاين اموالك ايها الغني واين مجدك ايها المتعظم واين لذتك ايها الشهواني ٠ اذهب الى القبر واسأل الدود عنها فهو يجيبك ٠ فهناك مستودع الاموال ويا لهُ من مستودع لائق بمقامها وهناك منتهى اللذات العالمية والشهوات الجسدية وكل اطايب هذا الدهر التي تبعد الانسان عن الله ٠ ووراءهُ في العلاء مجلس القديم الايام حيث يقف كل من دخل هذا القبر ليعطي حساباً عن نفسهِ ٠ فيالهُ من موقف رهيب ٠ اطلب الرب فتحيا ٠ « الذي صنع الثريا والجبار ويحوّل ظلّ الموت صبحاً ويظلم النهار كالليل الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الارض يهوه اسمهُ (عا ٥ : ٨) ٠ فانهُ لا شيء من الدينونة الان على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رو ٨ : ١)

نتائج السقوط

اولاً · لعنة الارض

راينا سابقاً ان الله بعد ان اكمل خلقة الكون القى عليهِ نظرة عامة وحكم بان كل ما خلقه ُ كان حسناً جداً · وعلى ما يظهر انه ُ لم يكن قبل السقوط من اثر للشوك بين النباتات الذي هو في هذه الايام من اكبر العوائق لخصب الارض ونضارة الزرع ويصعب على الفلاحين استئصاله ُ من مزارعهم وحقولهم · فقابل العدد الحادي عشر من الاصحاح الاول من التكوين « وقال الله لتنبت الارض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسهِ بزره فيهِ على الارض » بالعدد الثامن عشر من الاصحاح الثالث من نفس السفر « وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل » يظهر لك ذلك جلياً · ثم في تك ٣ : ١٧

هبطت على هذه الارض المنكودة الحظ لعنة صارمة
وهي « ملعونة الارض بسببك » فامتدت حالاً يد
العدو المخرّبة من وراء حجاب الشر والمطامع وشرعت
تفسد صورة الارض الجميلة وتشوّهها بقطع اشجارها
وتخريب مروجها واستبدال المثمر منها بالنافع المحصل
دراهم كاستبدال التين بالتوت في بلادنا فضلاً عن ان
الارض نفسها من حين لفظ القدير باللعنة عليها
اخذت تفقد قوة خصبها راجعةً الى الوراء . فكأنما
قصد الله بالارض اولاً ان تنبت اشجاراً تعطي اثماراً
وافرة ونباتات تبزر بزراً فتكفي الانسان مؤونة
التجارة والكد والسعي في تحصيل الاموال والارزاق
كما هو شأنهُ لعهدنا هذا فياكل هو والحيوان من
محاصيل الارض من غير ان يعاني مشقة التسميد
والزرع اذ ليس من شوك يخشى منهُ اتلاف الاغلال .
واذا كان الامر كذلك فلا يحتاج الانسان الى ان

يتعدَّى على الحيوانات المسكينة كالغنم والمعزى ويذبحها ويأكل لحمها بل تعطيهِ الارض من الاثمار والبزور ما يتقوَّت بهِ فيكون مكتفياً مسروراً ولهذا نرى ان الله لم يسمح للانسان باكل لحوم الحيوانات حتى بعد الطوفان (تك ٩ : ٣) وذلك بعد السقوط بنحو الفي سنة واما في تك ١ : ٢٩ فيقول الله « اني قد اعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه كل الارض وكل شجر فيهِ ثمر شجر يبزر بزراً . لكم يكون طعاماً » وبهذا الاعتبار يمكننا ان نحسب اكل الانسان للَّحم قصاصاً لهُ على تعدّيهِ الاوَّل

وعلى كل الاحوال فلا يسعنا ان ننكر الانحطاط الظاهر الذي طرأ على الارض بعد السقوط بسبب اللعنة . فالشجر والنبات والحيوانات على اجناسها تشهد بذلك . « والارض تدنَّست تحت سكانها لانهم تعدَّوا الشرائع غيَّروا الفريضة نكثوا العهد

الابديّ لذلك لعنة اكلت الارض وعوقب الساكنون فيها (اش ٢٤ : ٥ و ٦) فما اشد كره الله للخطيئة فان الخطيئة الواحدة التي فعلها آدم الاول سبَّبت للارض لعنةً اتلفتها وذهبت بقسم كبير من محاسنها وكما نراهُ الان من المناظر البهجة على الارض والمواقع الحسنة التي تدهش نواظرنا والآكام المكالة بالاشجار الظليلة التي تحرّك منا وتستدعي عواطف الاستحسان فينا ما هو الأ اثر الجمال الاوّل ومهما يكن مستظرفاً فلا يستطيع ان ينسحب من دائرة اللعنة الاولى بل هو ملعونٌ.

ولكن هذا لا يجب ان يحملنا على النفور من جمال الارض الحاضر بل بالاحرى ان يحثَّنا على الاعتناء بهذه الآثار كما يعتني علماؤُنا بالآثار التي يجدونها في انقاض المدن القديمة متذكرين ان كل ما على الارض من الاشجار والاعشاب كان يوماً حسناً

جداً لأنَّ صانعهُ الله

ويبشرنا كاتب سفر الرؤيا بزوال هذه اللعنة لان المسيح صار لعنة من اجلنا وافتدى الارض ايضاً « فلا تكون لعنة في ما بعد » (رؤ ٢٢ : ٣) . لا تخافي ايتها الارض ابتهجي وافرحي لان الرب يعظّم عملهُ . لا تخافي يا بهائم الصحراء فان مراعي البرية تنبت لان الاشجار تحمل ثمرها التينة والكرمة تعطيان قوتهما (يؤ ٢ : ٢١ و ٢٢) . ها ايام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد ودائس العنب باذر الزرع وتقطر الجبال عصيراً وتسيل جميع التلال (عا ٩ : ١٣) . فابشري ايتها الارض لانك حسب الوعد ستحرَّرين من اللعنة التي وقعت عليكِ بسبب خطيةَ آدم الاول لان يسوع الذي هو آدم الثاني قد انار الحياة والخلود وازال اللعنة عنا وعنكِ وسوف يجدّدكِ وينزل اليكِ اورشليمَ جديدةً مسكناً لله فينيركِ مجد وجههِ عوضاً

عن الشمس · ما اشدّ عدالتك ايها الاله القدير وما اعظم محبتك لنا تضربنا من الجهة الواحدة لتظهر صرامتك وعدلك وشدة محافظتك على وصاياك وتضمنا من الجهة الثانية لتظهر لنا عظم شفقتك علينا· فاجعلنا ان نحبك من كل قلوبنا

ثانياً · الخطية

« من اجل ذلك كانما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ اخطأ الجميع (رو ٥ : ١٢)

ابوك الاول اخطأ ووسطاؤك عصوا عليّ (اش ٤٣ : ٢٧)

والخطية هي التعدّي (١ يو ٣ : ٤)

هذه هي اللفظة التي تطنّ الاذن عند سماعها ويظلم العقل عند التفكّر بها ويحزن القلب عند مراجعة تاريخها · كتبتها يد ابليس على صفحة قلب

الانسان فاخذ هذا المسكين يتململ ولا فرار لهُ منها · دخلت الخطية الى العالم بتعدي آدم الاول واختارت جسد الانسان مقرًّا لها فنفثت فيهِ سمها واستحكمت من كل عواطفهِ واميالهِ فقادتها صاغرةً طائعةً لاوامرها · فتحت ابواب الجحيم وساقت منهُ الى صدر الانسان كل انواع المفاسد والشرور والى راسهِ كل جيوش الافكار الشريرة · دخلت الى راس قايين فقبض على اخيهِ وقتلهُ غير هيَّاب ولا خائف من احد · استولت على عقول اهل سدوم وعمورة فاندفعوا الى ارتكاب المحرَّمات وعمل فظائع الشرور اندفاع الذئاب الجائعة الى قطيع من الغنم حتى ان صوت خطاياهم صعد الى عرش رب الجنود · تمكنت من يعقوب فكذب على ابيهِ وخدعهُ واختلس البركة منهُ وهرب الى بلادٍ بعيدة · سهلت لاولاد يعقوب بيع اخيهم يوسف فباعوه بثمن زهيد ثم كذبوا على ابيهِ · لعبت في عقل

عخان فاخذ من الحرام في اريحا وطمر ما اخذهُ في ارض خيمته امالت قلب داود عن الله فجاء امراً فرياً اورثهُ مصائب جمة . مررت حياة العالم اجمع ودست لهُ السم في الطعام واذابت اكباد الامهات وصدعت قلوب الوالدين . اضرمت نار الحرب بين امةٍ وامةٍ واهاجت البغضاء بين الرجل واخيه واماتت كل عواطف الرحمة والشفقة في قلوب الاكثرين . وبالجملة فان الانسان اصبح مقيداً بالخطية اسيراً لها يتحرك حسب اشارتها . فلا تسمع الأ عبارة « لا اقدر » . فالسكير يقول « لا اقدر اترك السكر » والغضوب يقول « لا اقدر اترك الغضب » ومحب المال يقول « لا اقدر انجو من محبة المال » والمجدف يقول « لا اقدر اترك التجديف » الخ .

ومما زاد الطين بلة ان الخطية كبعض الامراض تنتقل بالارث فاميال آدم انتقلت الى قايين . واميال

قايين الى اولاده وهكذا الى وقتنا الحاضر فصار
الجسد على تمادي الايام شراً في شرٍ يرتجف كابرة
مغنطيسية عند دنوّ ادنى تجربة منه · وكثيراً ما
نعثر في الكتاب المقدس على عبارة كالآتية « وعمل
الشر في عيني الرب وسار في طريق ابيه وطريق
امه وطريق يربعام بن نباط الذي جعل اسرائيل
يخطئ وعبد البعل وسجد له واغاظ الرب اله اسرائيل
حسب كل ما فعل ابوه » (١ مل ٢٢ : ٥٢ و ٥٣) ·
ففي الغالب ولد السكير يميل الى السُكر وولد الزاني
الى الزنى وولد الخاطف الى الخطف وولد الكاذب الى
الكذب · فغدا العالم كلهُ سائراً جمهوراً واحداً في
طريق الآثام والمعاصي وفوق رؤوسهم تخفق راية
الخطية الملطخة بالدم وفي مقدمتهم عدوّ الانسانية
يقودهم الى هاوية الهلاك · « ليس من يفهم ليس من
يطلب الله · الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل

صلاحاً ليس ولا واحد · حنجرتهم قبر مفتوح · بالسنتهم قد مكروا · سم الاصلال تحت شفاههم · وفمهم مملوءٌ لعنةً ومرارةً · ارجلهم سريعة الى سفك الدم · في طرقهم اغتصاب وسحق · وطريق السلام لم يعرفوه · ليس خوف الله قدام عيونهم » (رو ٣ : ١١ — ١٨) هذا وصف حالة العالم بعد ان تملكته الخطية واطفأت انوار الفضيلة والتقوى ومحبة الله من قلوب ابنائهِ · فصار كلهُ تحت قصاصٍ من الله « اذ الجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله » (رو ٣ : ٢٣)

فنظر الله الحنَّان الى الارض وشاهد احوال الانسان المحزنة فحنَّ عليهِ وارسل ابنهُ في الوقت المعيَّن فاتخذ جسداً كجسدنا وعاش بيننا يتألَّم ويتجرَّب ويحزن ويشقى مثلنا وبعد ان صرف مدة بيننا بدون خطية وضع نفسهُ واطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعهُ الله واعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو

لهُ كل ركبة

وربَّ معترضٍ يقول ألم يكن في استطاعة الله ان يدبّر طريقةً اخرى للخلاص غير الطريقة التي اتخذها مثل ان يخلص العالم رأساً من غير ان يرسل ابنهُ اليهِ ليتألم ويصلب · فيا هذا لا يوجد لسؤالك الأَ جواب واحد وهو ان الله حكم على الانسان بالموت عند سقوطهِ في الخطية والله عادل ثابت لا يعتريهِ تغيير ولا ظل دوران · فبعد ان خرج على الجنس البشري قضاء الموت من فم الله لم يعد من رجاء بالنجاة من حكمهِ الاَّ بأن يموت شخص بارٌ لا يعرف خطية عن الجنس كلّهِ ويحمل على نفسهِ كل ما كان واجباً على الانسان حملهُ · وهذا ما فعلهُ المسيح تماماً · « ولكن الله بيَّن محبتهُ لنا لانهُ ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا فبالاولى كثيراً ونحن متبررون الان بدمهِ نخلص بهِ من الغضب » (رو ٥ : ٨ و ٩) ·

ليس لاحد حبٌ اعظم من هذا ان يضع احد نفسهُ لاجل احبائهِ (يو ١٥ : ١٣) . فان المسيح ايضاً تألم مرة واحدة من اجل الخطايا البار من اجل الاثمة (اي المسيح البار تألم من اجلنا نحن الاثمة) لكي يقربنا الى الله مماتاً في الجسد ولكن محييَّ في الروح (اي ان جسد المسيح فقط كان مائتاً او راقداً في الثلاثة الايام التابعة صلبه واما روحهُ فكانت حيةً)

كان للملكِ عبدٌ وكان يحبهُ محبة شديدة فغرس لهُ كرماً واسعاً وبنى لهُ بناياتٍ جميلة كاملة الاتقان واعطاهُ عدا عن كل ذلك اراضٍ واسعة غزيرة المياه واوصاهُ ان يستغلَّ ذلك الكرم والارزاق التي حولهُ ويعيش سعيداً مسروراً مطلقَ الحرية فما كان من هذا العبد الا ان اذعن لروح الحسد والكبرياء واخذ يسعى في ايجاد طريقة يصير بها معادلاً لسيدهِ وخلفاً لهُ على كرسي المملكة فلما علم الملك بالافكار الشريرة

الدائرة في راس عبده استدعاه حالاً وحكم عليه بالاعدام فطفق ذلك العبد يبكي وينتحب وخرج من لدن سيده حزيناً وتوجه الى بيته وجمع عائلته واصدقاءه وابناءهم واخبرهم بحكم الملك عليه وبأنه سوف يفارقهم ويمضي الى عالم الاموات فلا تعود تراه عيونهم بعد ذلك في هذه الدنيا . فضجّ اولاده واقاربه بالبكاء ووقعوا على عنقه يقبلونه قبلة الوداع وقلوبهم متوجعة تكاد تنفطر ألماً .

وكان للملك ابن بينه وبين هذا العبد مودة وصداقة فلما بلغه الحكم الصادر من ابيه مثل بين يديه في غياب العبد وقال له « قد عشت معك مدة طويلة كنت فيها طائعاً لك طاعة كلية ولم اخالف اوامرك في شيء قط وانت مطلع على ما بيني وبين عبدك من المحبة وقد سمعت انك لعنت عبدك الذي تحبه وحكمت عليه بالاعدام فقلبي لا يطاوعني على

ان ارى صديقي الحميم معلقاً على هذا الصليب الذي اعددتهُ لتصلبهُ عليهِ ولا اعود اجد لذةً في الحياة بعد فراقهِ فاسمح لي بان أُصلَب بدلاً منهُ لاني احبهُ . . . . . فرضي الملك بذلك ودعا خدامهُ فاخذوا ابنهُ وحيدهُ وصلبوهُ على الصليب الذي كان معدًّا ليصلب العبد عليهِ .

وفي اليوم التالي وهو اليوم المعيَّن لاجراء حكم الملك اقبل ذلك العبد واولادهُ يولولون حواليهِ الى دار الملك مستعدًّا ليصلب . فخرج بهِ الملك الى دارهِ الخارجية ودلَّهُ على ذلك الصليب المعلَّق عليهِ ابنهُ وقال لهُ « ان ابني صديقك من عظم محبتهِ لك قدَّم نفسهُ ومات عنك فانت حرٌّ الان من حكمي فاذهب ولا تخطُ اليَّ بعد » . فلما سمع العبد هذا الكلام مزَّق ثيابهُ ونتف شعر راسهِ واسرع الى صليب صديقهِ واخذ يقبّل تلك الجثة الباردة . . . . . .

تأمل ماذا كانت حاسات ذلك العبد حينئذٍ من نحو ذلك المصلوب وهو واقف امام جثته

ربما انك تتعجب من هذا المثل ولكن اريد الآن ان آتي بك ايها الشاب الحبيب الممتلئ من العواطف الشبابية والذي تدعي بانك عربي تقدِر اعمال المحبة قدرها الى مكانٍ نعم انحاه ذكرى محزنة يقال له الجلجثة واريك هناك صليباً من خشب مغروزاً بالارض وعليهِ شخص منكس الراس « لا صورة له ولا جمال ... محتقر ومخذول من الناس رجل اوجاع ومختبر الحزن » وآثار الضرب والنتف ظاهرة على خديهِ . هذا صديقك ايها الشاب بل هو محبٌ لك اكثر من كل اصدقائك سيق كشاةٍ الى الذبح وكنعجة صامتة امام جازّيها فلم يفتح فاه . بذل ظهره للضاربين وخديهِ للناتفين ووجهه لم يستتر عن العار والبصق . لم يصح ولا رفع ولا سمع في الشارع صوته . والان

ها هو معلق وحده وكل العالم قد تركهُ . المجتازون
يجدفون عليهِ وهم يهزُّون رؤُوسهم ورؤساء الكهنة
وهم مستهزئون فيما بينهم مع الكتبة يقولون خلص
اخرين واما نفسهُ فما يقدر ان يخلصها واللصان
المصلوبان معهُ يعيّرانهِ . ظلمة شديدة وقعت على
الارض كلها وحجاب الهيكل انشقَّ الى اثنين من فوق
الى اسفل وارتعب الناس ارتعاباً عظيماً غير عالمين بما
هو جارٍ على الارض . فاترك الان ايها الاخ الحبيب
افكارك العالمية جانباً وانزع عنك كل محركات الخشونة
والقساوة وتناسَ رفقاءك الاشرار الذين أدَّت بك
عشرتهم الى الخطيئة والمحلات الفاسدة والعادات
السيئة المضرة وجرّد قلبك عن كل محبة دنيوية وتعال
معي لندنو من ذلك المصلوب في الوسط ونسمع كلماتهُ
الاخيرة . ها انهُ يقول بصوتٍ منخفض « قد اكمل » .....

قد اكمل الغرض الذي هو مصلوب من اجلهِ فما

هو يا ترى هذا الغرض . اسمع ماذا يقول اشعياء النبي « وهو مجروح لاجل معاصينـــا مسحوق لاجل آثامنا » . هذا هو الغرض الوحيد من صلبهِ . ترك الامجاد العلوية وانحدر الى ما بيننا وقدَّم نفسهُ فدية عنا لكي نصير نحن برَّ الله فيهِ . هذا هو صديقك الحقيقي ايها الشاب السوري سفك دمهُ من اجلك لكي ينزع خطيتك ويقربك من الله ويصالحك معهُ ويفتح لك باب الفردوس السموي . هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم . هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منهُ الانسان ولا يموت . هذا هو ماء الحياة الذي اذا شرب منهُ الانسان فلن يعطش ابداً . هذا هو نور العالم . هذا هو القائل تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . هذا هو الذي مات بل قام بل صعد الى السماء وها هو الآن جالس عن يمين الآب يشفع فينا . واخيراً هذا

هو الحيّ وقد كان ميتاً وها هو حيٌّ الى ابد الابدين وله مفاتيح الهاوية والموت (اي كل الاموات في قبضة يده) وهو ديّان الجميع لان الاب قد اعطى كل الدينونة للابن (يو ٥ : ٢٢) وجميعنا سوف نقف امام كرسيهِ ليعطي كل واحد منا حساباً عن نفسهِ

وهذا السيد قد اشترى لنا بدمهِ الغفران او النجاة من خطية آدم التي كنا نئن تحت نيرها · فكل من سلَّم نفسهُ الى المسيح أُعتِقَ من الخطية وحُسِب باراً امام الله لان دم يسوع المسيح يطهِر من كل خطية · يذهب رجل الى بيت غنيٍ ويقول لهُ « اريد ان اكون خادماً في بيتك فيقول لهُ الغني « اهلاً وسهلاً » فيدخل هذا الرجل بيت الغني ويأْخذ يشتغل فيهِ مع باقي الخدَّام فيأكل من طعام الغني ويشرب من مائهِ ويلبس الثياب التي يشتريها سيّدهُ لهُ وبالجملة فان حياة هذا الخادم كلها تكون محصورةً ضمن دائرة بيت

سيدهِ وما زال عاملاً في بيتهِ فلا يجوز لهُ ان يذهب
من حين الى حين الى بيت انسان آخر ليشتغل فيهِ
ايضاً لئلا يعلم سيده بذلك فيطرده بل عليهِ ان يعمل
في بيت سيدهِ فقط ما زال خادماً عندهُ لانهُ لا
يقدر ان يخدم سيدين في وقت واحد · وهكذا من
سلَّم نفسهُ الى المسيح وتحقق مغفرة خطاياه فعليهِ ان
يلازم بيت المسيح ليلاً ونهاراً (ولا اقصد بيت المسيح
الكنيسة المبنية من حجارة بل حضرة المسيح) ويكون
مع المسيح دائماً متمتعاً بسلامهِ العجيب وسالكاً كما يحق
لانجيلهِ · لا يجوز لك ايها الاخ المسيحي ان تنسلَّ
من تحت راية المسيح ساعةً من ساعات النهار اترافق
صديقاً لك الى ارض محظور على خدَمَة المسيح
دخولها · هذا هو الحجر الكبير القائم في طريق نموّنا
نحن المسيحيين السوريين · نحفظ يوم الاحد عن المسيح
ونقضي هذا النهار كلهُ معهُ وحينما يبزغ فجر الاثنين

نودّع المسيح ونخرج الى العالم ونأخذ نهتم بهِ وبامواله ونهزل ونستخف بهذا وذاك ونكذب ونطمع بالربح القبيح ونعقد جلسات طويلة مع اصحابنا نطعن في زيد ونذمّ عمراً وهكذا حتى يجيء الاحد الثاني فنخلع عنَّا في صباحهِ ثوب الاسبوع العالمي ونلبس ثوب الاحد المسيحي. هذا لا يليق بنا يا اخوتي. فمن تحرَّر من الخطية لا ينبغي ان يستعبد لها ايضاً. ومن دخل الى بيت المسيح وصلب اميال الجسد واهواءهُ واهتماماته على صليبهِ فلا يليق بهِ ان يخرج منهُ ثانيةً. وليعلم كل واحدٍ منَّا ان الذي غفر خطايانا قادرٌ على حفظنا من السقوط فيها ايضاً والذي أخرج بطرس عنوةً من السجن قادر على اهلاك هيرودس. فلا يجوز لك ايها الاخ المسيحي ان تبقي خطية واحدة في جسدك من كل الخطايا الفعلية التي كنت عبداً لها قبل اتيانك الى المسيح. فالمسيح ليس بغافر خطايا

فقط بل حافظ من السقوط فيها ايضاً . فشكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان (٢ كو ٢ : ١٤)

كلٌ يعلم ان قوة الخطية في الجسد شديدة حتى قد يجد الانسان نفسهُ احياناً مدفوعاً على رُغمهِ الى اقتراف اثمٍ يكرههُ ويتمنى النجاة منهُ ولكن شكراً لله ان لنا في المسيح قوة تهدم كل ارتفاع وتسحق كل عدوٍ فمن كان عائشاً في المسيح وممتلئاً بالروح القدس شعر بقوةٍ في داخلهِ لا تقوى كل شياطين الجحيم على الوقوف امامها . فقط يجب على رجل كهذا ان يكون ساهراً دائماً حتى لا ينقاد الى ما يُذهِب منهُ تلك القوة . « من يظنّ انهُ قائم فلينظر ان لا يسقط » . « فان ابليس خصمنا كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعهُ هو » .

يتوهم البعض ان التخلص من خطية الفكر امرٌ

مستحيل . واظن الغلط عند هولاء هو عدم تمييزهم التجربة عن الخطية فيعدُّون كل تجربةٍ فكرية خطية . قد يمكن ان يدخل رأسي كل يوم الف فكر شرير وابقى بارًّا في عيني الله لأنهُ عندما يظهر الفكر الشرير ادفعهُ عني بنظري الى يسوع ولا اسلّم لهُ مطلقاً . ودفع الافكار الشريرة عن الراس لا يعد خطية بل غلبة والغالب لهُ اكليل البرّ . فلا يمكنني ان امنع الشيطان عن تجربتي انما اقدر على دفع تجربتهِ عني بقوة المسيح . او كما قال القس ميَر الانكليزي « لا يمكنني ان امنع العصفور من الطيران فوق رامي انما اقدر على منعهِ من التعشيش في شعري »

وقد يتوهم البعض ايضاً كما كنت اتوهم انا ان الحياة المسيحية ما هي الاَّ حياة تنسُّك يخسر الانسان عند دخولها كل افراح العالم ولا يجد في المسيح عوضاً عنها الاَّ الغم وتقطيب الوجه وقلة الكلام الخ . فيا هذا

اسمع ما يقول الكتاب واحكم لنفسك

باسمك يبتهجون اليوم كلّهُ وبعدلك يرتفعون (مز ٨٩ : ١٦)

فاني ابتهج بالرب وافرح باله خلاصي (حب ٣ : ١٨)

لان ليس ملكوت الله اكلاً وشرباً بل هو برّ وسلام وفرح في الروح القدس (رو ١٤ : ١٧)

افرحوا في الرب كل حين واقول ايضاً افرحوا ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس · الرب قريب · لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وافكاركم في المسيح يسوع (في ٤ : ٤—٧)

الذي (اي المسيح) وان لم تروهُ تحبونهُ · ذلك وان كنتم لا ترونهُ الان لكن تؤمنون بهِ فتبتهجون بفرح لا ينطق بهِ ومجيد (١ بط ١ : ٨)

ففرح المسيحي الحقيقي لا يقدر اللسان ان يعبّر عنهُ ويكفيك شاهداً عليهِ ترنيم بولس وسيلا في سجن فيلبي ودخول الشهداء لهيب النار باسمين

واما فرح الانسان العالمي فمنصوص عليهِ في اي ٢٠ : ٤ — ٩ ومز ٣٧ « اما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير الى النهار الكامل اما طريق الاشرار فكالظلام لا يعلمون ما يعثرون بهِ » (ام ٤ : ١٨ و ١٩)

فمن لنا بشبانٍ لا يأتون الى يسوع طمعاً في السلام والراحة الجسدية بل لانهم يحبونهُ ويريدون ان يضحوا ذواتهم من اجلهِ وعلامة حبهم لهُ مكتوبة على جبينهم وهي « نحن نحبهُ لانهُ هو احبنا اولاً » . فمحبة كهذه شريفة تستحق المديح واخيراً المجد . لم يطلب بولس الراحة الجسدية بل كان يتعب اكثر من كل الرسل عاملاً ليلاً ونهاراً بكل فرح لانـهُ

كان في اعماق قلبه نهرٌ من السلام جارياً بسكينة تامة لا تقلقهُ عواصف الاضطهاد وزوابع العدوّ . فما المتاعب للمسيحي الاّ كالريح للنار تزيد سلامهُ اضطراماً . « ليتك اصغيت لوصاياي فكان كنهر سلامك » (اش ٤٨ : ١٨)

ثالثاً . الموت

من اجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ اخطأ الجميع (رو ٥ : ١٢)

لان اجرة الخطية هي موت (رو ٦ : ٢٣)

من حين دخل الموت الى العالم بدأَت زهرة مجد الانسان بالذبول فطأطأ رأسهُ ذليلاً طائعاً لهذا الملك الظالم . تنفتح عينا الصغير فيرى امامهُ مواكب مواكب تتسابق في ميدان هذا العالم وتموج في ساحة بيعهِ وشرائهِ فمن اولادٍ يلعبون ويضحكون لا يشغلهم

عن المزج والمزح شاغل ومن شبانٍ بعضهم ساعون في طلب العلوم والمال والصيت الحسن وبعضهم متهافتون على الرذائل واعمال السفالة كتهافت عدد من الدبابير على قطعة لحم منتنة . ومن شيوخٍ بيض الرؤوس بعضهم اجلاّء افاضل تبدو على محيّاهم علائم الاختبار ويتدفق من وجوههم الباسمة اللطف والايناس ومن افواههم كلام الحكمة والفهم والنصح والارشاد وبعضهم منكبون على تحصيل المال وادّخارهِ لا يهتمون بصالح قريبهم ولا بصراخ الضعيف والفقير وقدام هذا المشهد كلهِ يرى لفظة مكتوبة باحرف كبيرة على لوح هذا الدهر يعرفها الكبير والصغير وهي

﴿ الموت ﴾

وقد قال الشاعر العربي

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلةٍ حدباء محمولُ

فالموت لجام يكبح اشرار هذا العالم عن الجموح ويردعهم عن التمادي في المعاصي فلولاهُ لعاث الشرير

في الارض فساداً وعمل كل انواع المحرّمات ولم يخف من حكومة ولا من احد بل كانت الارض في حالة من الفساد لا يستطيع العقل ان يتصوّرها · فالموت خافض كبرياء المتكبر وكاسر عنفوان المتجبّر ومذلّل كل قاسٍ ومفرّق الاصحاب وميتّم الاطفال ومذرّف الدموع وبالحقيقة انهُ الكاوي الوحيد للقلب البشري يخشاهُ الانسان ويتمنى التملُّص منهُ ولا يصدّق اية ساعة تنتهي الجنازة حتى يذهب الى اماكن الفرح ليتناسى الموت · فكل فراق هين الاَّ فراقهُ وكل دموع هينة الاَّ دموعهُ وكلُّ جراح هينة الاَّ جراحهُ · ولا احد يعلم عظم الم فراق الموت الاَّ الذي ذاقهُ

دخل الموت العالم بخطية آدم واجتاز الى نسلهِ فجاء المسيح ونقض الموت وغلب عليهِ اذ قام من الاموات في اليوم الثالث واعطى هذه الغلبة جميع المؤمنين بهِ · فكما ان المسيح قام من الاموات هكذا

الذين يموتون في المسيح سيقومون عند مجيئهِ الثاني فلنسمع ما يقول بولس الرسول في ذلك ·

ولكن الان قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة الراقدين فانهُ اذ الموت بانسان (اي بآدم) بانسان ايضاً (اي بالمسيح) قيامة الاموات · لانهُ كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع ولكن كل واحد في رتبتهِ (اي كل واحد سيقوم في رتبتهِ) المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئهِ — ١ كو ١٥ : ٢٠ — ٢٣ (اي المسيح قام من الاموات اولاً ثم الذين للمسيح سيقومون في جسد روحاني عند مجيئهِ الثاني) فبهذا الاعتبار لا يعود من سلطان للموت على الانسان المسيحي لانهُ يرقد بالموت ليقوم ويلاقي المسيح في الهواء عند مجيئهِ ليملك الف سنة «لانهُ يجب ان يملك حتى يضع جميع الاعداء تحت قدميهِ» · «وآخر عدو يبطل هو الموت» · قال اشعياء النبي

« يبلع الموت الى الابد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الارض لان الرب قد تكلم » (اش ٢٥ : ٨) وقال صاحب الرؤيا ايضاً « وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لان الامور الاولى قد مضت » (رؤ ٢١ : ٤) ففي تك ٣ : ٦ دخل الموت الى العالم بتعدي آدم وفي رؤ ٢١ : ٤ خرج الموت من العالم بطاعة المسيح · فمن آدم ورثنا الدموع واوراق تينة الشقاء واما من المسيح فورثنا ماء الحياة المعطى مجاناً وشجرة الحياة التي لشفاء الامم · في آدم الاول يفارقنا اصحابنا واخوتنا بالموت على غير امل منا بلقائهم بعد واما في آدم الثاني الذي هو المسيح فينتقل هولاء من العالم ونحن على رجاء الاجتماع بهم في اليوم الاخير لنكون واياهم مع رئيس خلاصنا الى ابد الابدين · هرب آدم الاول من وجه الله واخذ يسعى

بين اشجار الجنة مفتشاً على مكان يختبئ فيهِ واما آدم
الثاني فاتى وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه فاعطي
سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والامم
والالسنة سلطانه سلطان ابدي ما لن يزول وملكوته
ما لا ينقرض (دا ٧: ١٣و١٤) . في آدم الاول طُرِدنا
من الجنة السعيدة لنعمل الارض التي خرجنا منها فامسينا
تحت طائلة الخطية والموت وما ينتج عنهما تقذف بنا
امواج الشر والاتعاب من جانب الى جانب وبيننا
وبين الجنة ملاك حارس بيدهِ سيف مسلول واما في
آدم الثاني فانفتح لنا باب الفردوس السماوي واُلرح
الموت والخطية الى بحيرة النار والكبريت واتى الينا
صوت من العرش يقول « تعالوا يا مباركي ابي رثوا
الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » . بسبب آدم
الاول سمعنا صوت البكاء والنوح على الارض وصراخ
الجائع والمتألم وضجة الناس عند انتقال احدهم الى رحمة

الله واما بواسطة آدم الثاني فسمعنا صوتاً عظيماً من جمع
كثير بالسماء قائلاً هللويا الخلاص والمجد والكرامة
للرب الهنا وقالوا ثانية هللويا وثالثة ورابعة ايضاً. آدم
الاول اتخذ امرأة اوقعته في الخطية واما آدم الثاني
فعروسه الكنيسة المسيحية الحقيقية التي اعضاؤها لا
يهتمون بما على الارض بل بما في السماء «فلنفرح
ونتهلل ونعطه المجد لان عرس الخروف قد جاء وامرأته
هيأت نفسها واعطيت ان تلبس بزّاً نقياً بهياً لان البز
هو تبررات القديسين» (رؤ ١٩ : ٧ و ٨) . في آدم
الاول صرخ الانسان متأوّهاً «ويحي انا الانسان الشقي
من ينقذني من جسد هذا الموت» واما في آدم الثاني
فنهتف قائلين «اين شوكتك يا موت اين غلبتك
يا هاوية اما شوكة الموت فهي الخطية وقوة الخطية هي
الناموس ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع
المسيح» (١ كو ١٥ : ٥٥–٥٧) . آدم الاول مات ودفن

واكل الدود جسده فعاد الى التراب الذي خرج منه
واورث هذا الموت لكل نسله واما آدم الثاني فلم يرَ
جسده فساداً بل قام وهو حي وسيبقى حياً الى ابد
الابدين وبيده مفاتيح الهاوية وسيدخل اليها عند مجيئه
وينادي بالمسيحيين الراقدين ويقيمهم ليرثوا المجد المعدّ
لهم ويكونوا ملوكاً وكهنة لابيه السموي . على قبر آدم
الاوَّل مكتوب «لانك تراب والى تراب تعود» واما
على قبر آدم الثاني فمنقوش «من آمن بي ولو مات
فسيحيا» . وبالجملة فاننا في آدم الاول خسرنا الحياة واما
في آدم الثاني فحصلنا على حياةٍ ابدية وعلى اكليل البر
واكليل الحياة واكليل الابتهاج واكليل المجد . هذه هي
الحياة التي انت مدعوٌّ اليها ايها الشاب العزيز فلا
ترفضها . هي حياة ابدية جميلة للغاية لم ترَ امجادها عين
ولا سمعت بها اذن ولا خطرت على بال انسان .

